دكتور/ مصطفى حبشى محمد زهران (*)

فرسان مالطه وسياستهم في طرابلس الغرب دراسة وثائقية (٩٣٦ - ٩٥٨ هـ / ١٥٣٠ - ١٥٥١ م)

مقدمة

من دواعى سرورى أن أتطلع إلى الكتابة التاريخية الموثقة عن موضوع عزفت أقلام المؤرخين عن معالجته أكاديمياً وذلك لندرة المادة العلمية التى تحتويها بطون المراجع وهذا يعكس حرص الفرسان على طمس وإخفاء الكتابات التاريخية عن سياستهم الاستعمارية التى تكشف مخاذيهم فى كيان حيوى يجسد القلب النابض لشمال إفريقيا وبوابتها الشمالية المواجهة لأوربا التى تغمر سواحلهم مياه البحر المتوسط معاً.

وبالغرم من حيوية وتعاظم هذا الموضوع فى تلك الحقبة الزمنية التى تربو إلى ربع قرن والتى وقعت عقب أحداث جسام تمثلت فى أفول نجم القوى الإسلامية فى شبه جزيرة أيبريا قبل انصرام القرن الخامس عشر لذا فإن هذا الموضوع يكشف النقاب عن حرص أوربا على إنعاش الحروب الأيدولوجية من أجل تعقب وقطع دابر القوى الإسلامية فى عقر دارهم أن أمكن.

لذا فقد ظلت الحرب سيجال بين الغرب والعرب من أجل التنكيل بالقوى الإسلامية وسحب البساط من تحت أقدامهم حتى فى الديار الإسلامية بعد احتضان البابوية لتلك الحروب وغمرها بالدفء والدماء الجديدة وتفعيل آلياتها من أجل صب جام غضبها على المسلمين أينما وجدوا.

ومن هذا المنطلق وبحكم تخصصى فى الكتابات التاريخية الإفريقية وأيضاً حصولى على الكثير من المراجع والمصادر المتخصصة عن هذا

(*) محاضر التاريخ الحديث والمعاصر بالمعهد العالى للدراسات الأدبية – كينج مريوط – الإسكندرية

الموضوع أثناء عملى بجامعة التحدى بمدينة سيرت لمدة ثلاث سنوات – لذا فقد استعذبت كشف النقاب عن حكم هؤلاء الفرسان الذين زجت بهم أوربا فى الديار الإسلامية بعد حصولى على الوثائق الخاصة بهم من الأمانة العامة للتعليم بمدينة سيرت وهى مبوبة فى مجلد تحت عنوان Gavalieri Gerosolimitomia Trpoli أو سيادة الفرسان على طرابلس.

وقد صدرت تلك الوثائق باللغة الأسبانية حيث ضمت بين طياتها معلومات شمولية عن حكمهم لمدينة طرابلس الغرب والذى تميز بالاضطراب والفزع الذى سرى فى وجدان هؤلاء الفرسان وأيضاً إلقاء الأضواء عن الأوضاع السائدة داخل المدينة الساحلية والقلاع التى تحميها والتى تميزت بعدم الانسجام من جانب فرسان مالطه بالعمل المخول لهم لأنه يتعدى معنوياتهم الهابطة بعد أن فلت الزمام من أيديهم بفضل توثب الهجوم عليهم من القوى الإسلامية ولذلك فقد الفرسان توازنهم وأصبحوا حاضرين بشخصياتهم غائبين بسلطانهم الأمر الذى أدى إلى إنزال الضربات الموجعة عليهم وتفكيك أوصالهم قلباً وقالباً، وظلوا يستصرخون البابوية إلى أن تم ا نسحابهم بداية من صدر النصف الثانى من القرن السادس عشر وهم يجرون ورائهم أذيال الخزى والعار. وبذلك تبددت أحلام البابوية واجترت مرارة الهزيمة والذى أعقبه ابتلاع أوربا لغيظها؛ وقد ألحقت عدد من الوثائق التى تهم موضوع البحث فى نهايته.

تدويل طرابلس قبل مجئ الفرسان:

كانت المقاومة وحركة الاسترداد قد انطلقت من أقصى بلدان أوربا الغربية من أسبانيا لإيقاع المسلمين بين فكى كماشة وحتى استطاعت فى عام ١٤٩٢ أن تطوى صفحة آخر الحواضر الإسلامية فى غرناطة وهى بنى الأحمر. وبذلك تلاشت السيادة الإسلامية فى شبه جزيرة ايبريا، وأعقب ذلك أن أصدر الملك الكاثوليكى فرديناند دارجونا والملكة ايزابيلا دى كاستيليا أمراً يقضى بقطع دابر جميع المسلمين ومواصلة تعقبهم فى عقر دارهم. (١)

وبالتالى أصبحت الحرب سيجال بين قوتين غير متكافئتين فى مياه البحر المتوسط حتى نجح الأسبان فى الاستيلاء على مدين طرابلس فى ٢٥ يوليو ١٥١٠ وغيرها من المدن الإسلامية فى الشمال الإفريقى وتثبيت أقدامهم وبالتالى احتكار تجارة المعادن النفيسة والتوابل التى تأتى إليهم عن طريق القوافل من داخل قارة إفريقيا. (٢).

وقد استقبلت أوربا خبر سقوط طرابلس تحت أمرة الأسبان بابتهاج كبير، وبعد انتفاخ أوداجها شجع هذا الانتصار ملوك أسبانيا وأذكى أمانيهم وحرك

شهواتهم الاستعمارية فى ابتلاع ثروات البلاد سواء الطبيعية أو البشرية كما سرى هذا الخبر فى إيطاليا التى غمرتها السعادة والابتهاج المتدفق، أما المسلمون فقد شعروا بالمرارة وإصابهم الحزن على سقوط طرابلس منارة العلم والعلماء المسلمين، ولما استقرت الأمور نسبياً فى طرابلس رغب الكونت بدرو دى نافارا Comte Pedro DI Noverron (٣) فى جعل طرابلس قاعدة لغزو الشمال فأنطلق منها إلى جزيرة جربة فى تونس(٤).

وفى صدر عام ١٥١٣ م صارت مدينة طرابلس تابعة لصقلية إدارياً بعد أن تنازل ملك أسبانيا عنها لنائبه جوان فرانشيسكو Gohan Franchasco ، الذى أصبح والياً على طرابلس وقد شمر هذا الوالى عن ساعد الجد من أجل تعمير المدينة بجلب عائلات صقلية لتثبيت أقدامه على حساب أبناء البلاد (٥) وفى أوائل عام ١٥١٦ م مات ملك أسبانيا فردنياند وبذلك توقف اهتمام الأسبان بمسألة إفريقيا خاصة وأن خلفه الملك فورشال الخامس Fourchal V .

انغمس فى الحروب الأهلية داخل أسبانيا وبالرغم من هذا فقد ظلت الحرب سيجال بين الأسبان والطرابلسيين حتى عام ١٥٢٠ والتى كانت تعتمد على الكر والفر من كلا الطرفين(٦).

توالى تسرب الخوف إلى قلوب الأسبان من هجمات المسلمين المتدفقة والمتجددة لذا قاموا بتحصين المدينة بالأسوار والأبراج والقلاع التى تتخللها المدافع وبالتالى تقوقع الأسبان داخل الأسوار اتقاء هجمات القوى الإسلامية المستقرة فأصبح الأسبان حاضرين بشخصهم غائبين بسلطانهم فقاموا بتسليم المدينة إلى فرسان مالطه فى أوائل عام ١٥٣٠م الذين كانوا فى سابق عهدهم يشكلون منظمة خيرية مقرها القدس، مهمتها مساعدة حجاج بيت المقدس من المسيحيين وتحولت بعد ذلك إلى منظمة عسكرية فى أثناء الحروب الصليبية تعنى بمعالجة الجرحى فى المعارك الحربية(٧).

ولما تم النصر لصلاح الدين الأيوبى على الصليبيين طرد معهم هؤلاء الفرسان من القدس فلجأوا إلى عكا لكن طردوا منها أيضاً ١٢٩١م حيث تقوقعوا فى جزيرة رودس، وكونوا مملكة مسيحية تحت رعاية البابا واستولوا على جزيرة الروديكاينز(٨).

وفى رودس أخذوا يعرقلون الملاحة العثمانية فى الحوض الشرقى من البحر المتوسط فتأهب السلطان سليم الأول لمحاربتهم فى البحر بعد نجاحه فى إحكام الحصار على جزيرة رودس حتى استسلم الفرسان وذلك فى ديسمبر ١٥٢٢م فى عهد السلطان سليمان الأول – ولم ينتقم منهم السلطان بل سمح لهم

بمغادرة الجزيرة، فرحلوا منها إلى إيطاليا بدعوة من البابا كليمنت السابع – بعد ذلك سال لعابهم على جزيرة مالطه بعد التوسل إلى الإمبراطور شارل الخامس لتكون مركزاً لهم يشنون منها الغارات على الحواجز الإسلامية فى شمال إفريقيا.

وفى صدر عام ١٥٣٠م وافق الأمبراطور على منحهم جزيرة مالطة بشرط درء الأخطار الإسلامية عن مدينة طرابلس والتعهد بحمايتها من الهجوم الإسلامى(٩).

وأخيراً وقع الإمبراطور الأسبانى فى ٢٤ مارس ١٥٣٠م المرسوم فى كاستل فرانكو فينيتو بأسبانيا مع القسيس سنقويسا (Sankousia) والوفد المرفق معه وقد ورد فيه رغبة منا فى تدعيم واستقرار الدير والمنطقة والهيئة الدينية لمستشفيات القديس يوحنا واستناداً إلى رغبتنا فى أن ينال المرشد الأكبر الجليل المبجل ورؤساء الهيئة وقادتها وفرسانها مقراً ثابتاً ومركزاً محدداً وانطلاقاً من محبتنا والعطف الذى نحمله لهذه الهيئة فقد قررنا عن طيب خاطر التنازل إلى المرشد الأكبر والمنطقة عن مقر دائم ثابت وأن مرسومنا هذا يعتبر سارى المفعول على جميع العهود القادمة بالنسبة إلينا وإلى جميع خلفائنا فى مملكتنا، نتنازل ونمنح بكامل الإرادة الحرة إلى المرشد الأكبر – إلى الدين – إلى المنطقة المعروفة باسم القديس يوحنا الجروسو لوميتانو إقطاعاً نبيلاً دائماً حراً ومشمولاً بالإعفاء – المدينة والقلعة – الموقع والجزر التابعة إلينا فى طرابلس ومالطه وجوزو مع جميع البقاع التابعة لها، وهذا يجسد مدى تدويل طرابلس الغرب بين أتباع البابوية لأحكام قبضتهم على الديار الإسلامية.

وكان على الفرسان أن يقدموا صقراً كل عام عن الاحتفال بعيد جميع القديسين بيد نائب الملك(١٠) وفى يونيو ١٥٣٠م كان مندوبو المرشد الأكبر الذى انتقل فى هذا الوقت إلى نيس ثم إلى سيراكوزه قد استلموا السيطرة على مالطة واتجهوا إلى طرابلس حيث استلموا من فرانشيسكو Francesco Velasquez نائب الحاكم كشفاً بالمدفعية التى كانوا ملزمين بإرجاعها إلى الإمبراطور وسرعان ما وصلت إلى طرابلس سفينتان تحملان العتاد والمؤونة وقافلة من الفرسان وفرقة من الجنود تحت قيادة جاسبارى دى سانجوسا Gaspare di Sanguessa، أول حاكم يوفد من المنطقة إلى طرابلس. (١١).

إن مسئولية النهوض بأعباء قلعة مهمة والتهديد المستمر من البر والبحر والأوضاع القلقة للمنطقة التى لم تنتظم شئونها فى مقرها الجديد فى مالطه وبعض الانقسامات الداخلية بين الفرسان أنفسهم كل هذا انعكس بالسلب على مركز الحاكم فى طرابلس الذى أصبح دقيقاً وحرجاً وبالتالى اسند

هذا المنصب إلى شخصيات من ذوى الشأن والشجاعة مثل أورليو بوتيجلا Aurelio Bottigella وهو قائد محنك فى البحرية وأيضاً القائد جيوفانى لافاليتى Giovanni la Vallettu من عام (١٥٣٠ – ١٥٤٩م) الذى تميز بالدهاء والمكر والتبحر فى الإدارة(١٢)

وكان إلى جانب الحاكم فى الغالب نائب له وفارس يشغل منصب أمين الخزانة ويهتم بإدارة البنود المالية التى لم تكن تغطى أعمال التحصين والدفاع وكان يقيم فى ا لقلعة خمسون من الفرسان ومائتان تقريباً من الجنود بينهم أثنا عشر مدفعياً. (١٣)

أما المدينة فقد كانت تتولاها حامية من الأهالى لا يزيد عددها على مائة بين فرسان ومشاة – أما التبادل التجارى مع الأهالى فقد كان يجرى فى الأسواق وهو ما يطلق عليه فى الوثائق (Coco).

وقد كان فى المدينة برجان يقعان عند طرفى الجانب المواجه للشرق أطلق عليها اسم القديس جورج (نحو المدينة) وسان جاكومو (نحو لمدينة) بينما أطلق على الساحة الواقعة بينها اسم القديسة بربرا Santa Barbra أما داخل القصر فقد كان يضم بيت الحاكم والفرسان والجنود والمخازن كما أن هناك بلا شك كنيسة يعتقد بأنها مسماة سان ليوناردو كان فى خدمتها أربعة من القساوسة التابعين للمنظمة – وكان هناك باب رئيسى إلى جانب برج القديس جورج يصل القلعة بالمدينة أما الميناء فقد توفرت له حماية طيبة بوجود البرج المسمى (سان بيترو) والذى يقوم قرب الجمرك فى نقطة التقاء السور الشمالى الشرقى بالسور الشمالى الغربى، كما كان هناك حصن آخر يسمى كاستيلاجو (Castellajo) يحمى مدخل الميناء فى أقصى أطراف الجزر. (١٤)

وقد فرضت ضريبة رؤوس على مدينة طرابلس وتخومها مثل جنزور والماية وزواغه تدفع بطريقة منتظمة سنوياً بواقع عشرة دنانير للفرد وفى تاجوراء التى تقع على مسافة اثنى كيلو متراً شرقى طرابلس تركزت مقاومة العرب والمغامرين الأتراك الذين كانوا يتطلعون إلى استرجاع طرابلس إلى أحضان الإمبراطورية العثمانية(١٥).

وفى المقابل كان سلطان تونس مولاى الحسن الذى تولى العرش عام ١٥٢٦م يدعى حقوقاً شرعية للسيادة على طرابلس الغرب وكان على علاقة حسنة مع فرسان مالطه ضد العرب، فكان عوناً لهم وعيناً ضد العرب، وأظهر منافسة قوية ضد خير الدين (بربروسا) سيد الجزائر الذى تزايدت قوته وأصبح قائدا عاماً للأساطيل العثمانية فى عرض المتوسط(١٦).

وفى خضم تلك الأحداث قاد أوريليو بوتيجيلا Aurelio Bottigella – الذى عهد إليه بحكم طرابلس عام ١٥٣٥م – حملة ناجحة لحماية طرابلس، أما خلفه جارسيا كورتس Garcia Cortes (١٧) فقد اصطحب معه من مالطة ١٥٣٣م مهندس المنظمة مايسترو بثينو Piconio وهو من فلورنسا وكان مكلفا بدراسة حاجات القلعة من التحصينات العاجلة، وقد تم فعلا تدعيم الأوضاع الدفاعية فى القلعة خلال الأعوام التالية فى عهد الحاكم سخلنج Schiling. وفى هذه الأثناء مات فى مالطة المرشد الأكبر ليزدى أدامو Lisde Adamo عام ١٥٣٣م وأصبحت أوضاع طرابلس مهددة بالخطر بعدما احتل خير الدين «بربروسا» تونس فى شهر يونية من عام ١٥٣٤م.

إدارة الفرسان لطرابلس:

أرسلت جماعة من الفرسان إلى طرابلس لتدعيم حاميتها فى ديسمبر ١٥٣٤(١٨).

وكان الخطر من وجود «بربروسا» فى تونس واضحا جدا حتى وجد شارل الخامس نفسه مضطرا إلى أن يقود بنفسه حملة قوية ضد تلك القلعة المنيعة وقد شاركت فيها منظمة فرسان مالطة بإرسال الرجال والسلاح، وهزم «بربروسا» وطرد من تونس وأعيد إلى العرش السلطان الحفصى مولاى الحسن فى يوليه ١٥٣٥(١٩).

أما «خير الدين تاجوراء» الذى يسنده ويعاضده المغامرون من الأتراك الذين يتدفقون عليه من كل مكان وكان بعضهم مرسلا إليه من «بربروسا» فكان يعمل على تشديد الضغط على طرابلس، واستطاع أن يشيد برجا سمى برج القيادة أو القائد Alquaide على بعد ميل فقط من القلعة– حيث كان الحاكم وقتئذ فراجورج نحلنج وكان أحد قادة البحرية الشجعان وقد حصل على نجدة أرسلت إليه من مالطة فى صيف عام ١٥٣٦ تحت قيادة بوتيجلا Bottigella الذى شن هجوما استولى فيه على البرج، وهزم خير الدين وقتل، وخلفه قائد، آخر هو مراد آغا(٢٠).

وفى عام ١٥٣٩ جاء إلى طرابلس فرناندو دى براكامونتى وكان يشغل منصب المرشد الأكبر جيوفانى دى هوميدس Fra Giovanni di Homedes الذى أخذ يوضح لشارل الخامس أهمية طرابلس وأوضاعها الدفاعية الضعيفة، وطلب منه أما أن يساعده فى تسوير طرابلس من جميع النواحى بأسوار حصينة محاطة بالأبراج الملكية والخنادق أو أن يأمر جلالته بأن تنسف القلعة بالألغام وتخريب الميناء بردمه وإغراق المراكب المشحونة بالصخور والرمال عند مدخله(٢١).

أما المكاتبات المتبادلة بن سلطان تونس الخاضع لحماية الأسبان ودون فرانتى جونزاجا Don Ferrante Gonzaga(٢٢) نائب الملك فى صقلية فتلقى أضواء

على طرابلس، وبقاعها فى تلك الأعوام، فهو يرد على جوانزاجا الذى يوصيه بإرسال قوة لتحرير جربة وتاجوراء فى ٢١ نوفمبر ١٥٣٩ بقوله: «أن الشوكة فى العين تؤلم أكثر من الشوكة فى القدم».

وفى العام التالى أخبر سلطان تونس جوزانكا بأنه قد وصلت مراكب تركية إلى سواحل الشمال الأفريقى وأنها تركت قسما من ركابها فى تاجوراء أما الباقى فيبدو أنه يتجه إلى المهدية(٢٣).

وأثناء ولاية فرناندو دى براكامونتى Fernando de Bracmonte نجد للمرة الأولى الإشارة إلى وجود أحد المسيحيين المعتنقين للإسلام يدعى مراد آغا Morataga الذى يقوم بمساعدة وتأييد «بربروسا» قائد الأسطول العثمانى بتضييق الحصار على المدينة، ويزحف بخطوط جبهتين إلى ثلاثة أميال عن القلعة(٢٤).

ولذا فقد تنامت الجهود من أجل حفر الخنادق وتعلية الحصن Castelleio لتأمين الدفاع عن المياه(٢٥).

من أجل هذه الغاية أرسل إلى طرابلس أكثر من مرة قائد عام البحرية فراجورج سنلخج فى ديسمبر ١٥٤٢ وفى أبريل ١٥٣٤ وقد رفض سكان السواحل الغربية الذين كانوا خاضعين فى البداية لطرابلس دفع الضريبة وأثناء حكم كريستوفا نو دى سوليس فرفان Cristofano de Solis Farfan (٢٦).

وفى عام ١٥٤٥م تقررت الحملة ضد حاضرة المابة المتاخمة لحاضرة جنذور(٢٧).

وتوجه حينذاك فراسينورينوجايتنارا Signarino Gattinara رئيس دير مسينا إلى طرابلس على رأس أربعة مراكب للمنظمة.

وفى ليلة أوائل أغسطس ١٥٣٤ خرج حوالى ألف من المسلمين قسم منهم عن طريق البر والآخر عن طريق البحر، وتجمعوا قرب القرية ولكن سوء تصرف ضارب الطبل الذى أدى إشارة الهجوم قبل موعدها، كان سببا فى إخفاق المباغتة ومع ذلك فقد كانت الغنائم وفيرة وتم أسر ٤٥٢ أسيرا(٢٨).

وقد قاد لافاليتى الذى حكم طرابلس من عام ١٥٤٦م إلى عام ١٥٤٩م عدة حملات متكررة ضد مراد آغا (٢٩) ووسع المجال أمام المدينة المحاصرة بأبعاد نطاق الحصار، بدأها بحملة مفاجئة فى أوائل عام ١٥٤٦م خرجت أثناء الليل للهجوم على تاجوراء عن طريق البر قوامها جنود مسلمون بالقربينات وتدعمها سفينتان قامتا بإنزال بعض المدافعين، الذى توغلوا حتى البرج الذى يحمى الميناء الصغير بتاجوراء، فأشعلوا النار فى أحدى المراكب

الخاصة بمراد آغا وعندما بدأ النهار تابعهم مراد آغا ولاحق جيش المنظمة فى طريق عودته إلى طرابلس، وقد أسر فى المعركة التى نشبت بين الفريقين الفارس مارزيليا Marziglia(٣٠).

وقد تزايد القلق حول الدفاع عن طرابلس وتوجه المرشد الأكبر بطلب المعونة من البابا أيضا وأرسل إلى روما فى ٨ يناير ١٥٤٧ رئيس ديرلومبارديا فراكارلو سفورزا لكى يتولى نقل الطلب والتركيز على الأوضاع الحرجة التى تواجهها المدينة(٣١).

وقد يكون من الملائم أن نورد هنا النص الكامل للتعليمات التى صدرت إلى المبعوث: «تعليماتنا إليكم أيها المتدين الجليل اللامع فراكارو لوسفورزا رئيس لومبارديا عن الأشياء التى ستتناولونها مع صاحب القداسة حول موضوع طرابلس أولا: قبلوا قدمى صاحب القداسة فور وصولكم إلى روما وبلغوه نيابة عنا رغبتنا فى خدمته كأبناء حقيقيين وخدام مطيعين وقدموا إليه الرسالة التى بعثناها باعتمادكم، وذكروه كيف أنه منذ أن منح قداسته جزر مالطة وجوزوا وقلعة طرابلس إلى المنظمة أبدينا اهتماماً دائماً بتدعيم هذه القلعة وتذويدها بالجنود وكافة الأشياء الضرورية متكبدين فى ذلك نفقات طائلة وإرهاقا كبيرا للمنظمة» (٣٢).

وقد استطاع مراد آغا أن يجمع بالإضافة إلى الأتراك الذين معه عددا آخر من العرب الذين ربطتهم به صلات ودية وتحالف ومن ذلك الوقت تعرضت القلعة إلى حرب متتابعة واشتباكات متواصلة عادت بالأضرار على الطرفين، ورغم أن ملك تونس بتأييد من منظمة الفرسان قد اهتم بطرد مراد آغا لكنه لم يتمكن من ذلك مما زاد من قوته كل يوم سواء بتأييد من «بربروسا» وأيضا من «طرغود» وهو قرصان كبير من الموالين إليه حيث نجحوا فى كبح جماح الفرسان وحلفاؤهم.

وبدأت الخطة من الجانب الإسلامى بالهجوم على الفرسان والاستيلاء على القلعة ومدينة طرابلس التى تحيط بها، حيث كانت إمكانيات المنظمة ليست كافية ولا صالحة لمواجهة المد الإسلامى وأشرأبت أعناق فرسان مالطة إلى تحقيق نصر سريع وحاسم وطرد الأتراك من أرض تاجوراء فإذا تم ذلك فسوف يحقق خيرا وراحة عظمى للمسيحية لذا فقد بدأ استصراخ المرشد الأكبر(٣٣) للبابا بالإغداق على الفرسان بالعون خاصة تجميع حملة تتكون من أربعة أو خمسة آلاف لطرد الأتراك من طرابلس(٣٤).

لقد أوضحت رسالة المرشد إيضاحا كاملا للإطار العام للأوضاع ولكن المساعدات لم تأت لا من البابا ولا من الامبراطور وبالتالى خاب أمل استصراخ

المرشد الأكبر وتوالت التداعيات عندما تلاشى نفوذ أسبانيا وسيطرتها على أفريقيا منذ أن منى جنود شارل الخامس فى عام ١٥٤١م وأسطول اندريادوريا بهزيمة منكرة فى الجزائر وأصبح الأسطول التركى المتحالف مع الأسطول الفرنسى سيدا للبحر المتوسط مرفوع الهامة(٣٥).

وفى عام ١٥٤٧م مات خير الدين «بربروسا» المؤسس الرئيسى للقوة البحرية التركية ولكن بقى للأتراك قادة لهم وزنهم وقيمتهم وكان فى طليعتهم من حيث الشهرة والمكانة «طرغود» الذى ورد ذكره آنفا(٣٦).

ولد هذا المغامر المحنك فى عام ١٤٨٥م فى مقاطعة منتشية Menteshe على السواحل الغربية للأناضول، وانصرف منذ نعومة أظافره إلى القرصنة حتى صار شاباً يافعاً بارعاً فى ركوب البحار. وفى عام ١٥٣٣ أصبح له باع كبير بين القراصنة العثمانيين الذين كانوا يهاجمون سفن البندقية فى عرض بحر إبجة ثم انتقل إلى العمل تحت قيادة بربروسا واشتهر بسلب السفن المسيحية فى مياه البحر المتوسط مما أرق مضاجع الأوروبيين(٣٧). وفى يونية ١٥٤٠م فاجأة جيانتينو دورياً Giannettino Daria عند سواحل كورسيكا فأسره وباعه إلى أسرة لومللينى Lomellini من جنوة الذين استخدموه فى التجديف فوق مراكبهم وأطلق سراحه عام ١٥٤٤م بناء على اهتمام شخصى من بربروسا فاستأنف نشاطه القرصانى بمزيد من الحيوية والقوة تحت علم سلطان القسطنطينية(٣٨).

ومن جانب الفرسان أصبح وضع طرابلس ضعيفا لا يقوى على الصمود بل مرت فترة وبالتحديد عام ١٥٤٨م وجدت المنظمة نفسها مدفوعة إلى التفكير فى تركيز قوتها فى طرابلس بعد أن تأكد لديها استحالة الاحتفاظ بطريقة مشرفة ومضمونة بطرابلس ومالطة، وقد خططت لذلك بناء على اقتراحات قدمها بعض الفرسان من ذوى المكانة والنفوذ منهم لافاليتى ولكن تغلب الاتجاه إلى ترك المشكلة دون حل نهائى وانتظار ما يسفر عنه الزمن والأحداث من توجيهه ونصائح(٣٩).

حركة الجهاد الإسلامية ضد الفرسان:

وفى عام ١٥٤٩م عند نهاية حكم جيوفانى لافاليتى كاد مراد آغا أن يقع أسيرا أثناء هجوم مفاجئ قام به فراجيوفانى دى شردان De Cerdan(٤٠) كان مصحوبا بعدد من الفرسان الطرابلسيين وبعض سكان المنشية بينما كان متجهاً بصحبة كوكبة صغيرة من الفرسان لحضور أحد الحفلات لصديقه عبد القادر بن الشوشانة شيخ أحد القبائل، وقد أسر بن الشوشانة وعربى آخر واقتيدا تحت الحراسة إلى طرابلس، أما مراد آغا الذى طوق فى البداية وحوصر

فقد تمكن من الفرار محتمياً بالمقاومة اليائسة التى أبداها حراسة المرافق ومعتمدا على سرعة جواده العربى، وبدلا من الاحتفاظ بابن الشوشانة أو الحصول على مبلغ كبير كشرط يستميلوا إليهم بعض سكان المنشية والساحل فبادروا إلى إطلاق سراح الأسير بشرط أن يعمل على إزاحة مراد أغا عن المكانة التى تمتع بها بين عرب الضواحى والدواخل(٤١).

وكان طرغود قد أقام فى سواحل الشمال الأفريقى «بربربا» أهم قواعد نشاطه القرصانى. وفى عام ١٥٤٩ تمكن بمساعدة مراد آغا الذى أرسل إليه مائة من الرماة من احتلال المهدية، ومن هناك كان يقذف بسفن لسلب المراكب والسواحل المسيحية(٤٢).

وفى المقابل قام دوريا بحملة تحت قيادة نائب الملك بصقلية جيوفانى دى فيجا ومساندة منظمة الفرسان التى بعثت أربعة مراكب ومجموعة من الفرسان، واحتل المهدية فى ١٠ سبتمبر ١٥٥٠(٤٣).

أما طرغود الذى ترك أحد نوابه فى المهدية فقد أخذ يجوب دواخل تونس عدة أشهر ثم جمع فرقته القرصانية فى مضيق القنطرة بجزيرة جربة، وحاصره دوريا هناك فى أبريل عام ١٥٥١ ولكنه استطاع أن يسحب سفنه عبر قناة أرضية حفرها وخرج بها إلى عرض البحار واستولى على المركب الرئيسى القادم من صقلية لدعم دوريا وفى نهاية أبريل باغت مالطة ونزل بجنوده فى سواحلها وقد سلبوا قرية سيجيوى Siggeai ثم تابع رحلته إلى الشرق حيث لحق بالأسطول العثمانى الذى جاء بعد ثلاثة أشهر لحصار طرابلس(٤٤).

وفعلا بدأ ينساب الأسطول العثمانى فى البحر وبالتالى أرسلت المنظمة منذ نهاية أبريل ١٥٥١ إلى طرابلس جاسبارى دى فلليس أوفاليرس Gaspare de Vallies ode Valliers وكان مارشالا فى المنظمة لكى يخلف بيترونونيز دى هريرا Fra Pietro Nunez de Herrera(٤٥)

فى منصب الحاكم مجددين له نفس التوصيات والتوجيهات المعتاد تقديمها إلى كل الحكام ملحين عليه بالتزام النظام والعادات الحسنة وحماية القلعة وحراستها هى والمدينة والحصن(٤٦).

وفى بداية يوليه عام ١٥٥١ دقت طبول الحرب عندما تواترت الأنباء بخروج الأسطول التركى من الدردنيل قاصده مالطة وطرابلس فأرسلت المنظمة بصفة عاجلة إلى طرابلس كوليلمو كوبيير Coupier بصحبة ٢٥ فارساً وفرقة من الجنود الذين جندوا فى مسينا بقيادة جيوفانى كالابرنبزى «Calabriesi»(٤٧) كان كوبير مكلفا بأن يتولى مهام نائب الحاكم، أما السفن التى حملت الجنود إلى

طرابلس فد نقلت عند عودتها النساء والأطفال الذين رأى الحاكم أنه من المناسب تسفيرهم من طرابلس، وأخذت المدينة تتهيأ لمواجهة الصدام بين القوتين(٤٨).

وتعطش الأتراك العثمانيين إلى استرداد طرابلس لذا فقد تهيأت البحرية العثمانية المكونة من ١٥٠ سفينة تحمل ما يقرب من خمسة عشر ألفا من الرجال تحت أمرة المغامرة سنان باشا ومساندة طرغود وصالح بك حاكم رودس وأبحرت فى المتوسط قاصدة مالطة.

وهاجم الأسطول ودخل مدينة نوتابلى Notabile وابتلع جزيرة جوزو وأسر منها خمسة آلاف أسير(٤٩).

ثم اتجه إلى طرابلس حيث وصلها فى الخامس من أغسطس ١٥٥١ وكان فى القلعة من وسائل الدفاع وأيضا النجدة حوالى مائة من الفرسان وخمسمائة من الجنود وبعض المئات من العرب المواليين الذين سرى بينهم الخوف والرعب من تحفز وتوثب قوة الأتراك(٥٠).

وفى أثناء إعطاء سنان باشا شارة البدأ فى الانقضاض على طرابلس وصل السينور دارمونت Daramont سفير ملك فرنسا لدى سلطان القسطنطينية، وكان ذو شخصية مرغوبة لدى الأتراك ووقف فى مالطة أثناء رحلته من فرنسا إلى تركيا وتوسط لدى المرشد الأكبر للفرسان تارة ثم عرج إلى طرابلس لإقناع القائد التركى بالعدول عن خطة هجومه على طرابلس ولكن سنان باشا رفض الاستجابة والإصغاء إلى دعوة العدول عن هذه المهمة(٥١).

وعلى الفور بدأ سنان باشا فى ضرب الحضار حول طرابلس وبعدها وجه إنذارا إلى حاكمها المسيحى بتسليم المدينة الأمر الذى رد عليه جاسبارى فالييس بالرفض قائلاً: «أنه يفضل الموت على الاستسلام».

وفى ٨ أغسطس بدأ تضييق الخناق من جانب المهاجمين الأتراك بمدفعيتهم من القلعة تحت حماية الحواجز وتجمعوا فى جبهة من الجانب الشرقى من القلعة فى السهل الممتد بينها وبين «الظهرة» وعلى الفور انسابت طلقات المدفعية العثمانية كالسيل حيث ردت عليها مدفعية الفرسان رداً فتاكا عرض الأتراك لخسارة أربعة من مدفعيتهم واثنين من الشواس وبعض الرياس وعدد كبير من الانكشارية وبترت أحد طلقات المدفعية ساعد رئيس كتبة الانكشارية(٥٢).

لكن هذ لم يثن من عزيمة الأتراك، وفى ٩ أغسطس ١٥٥١ استؤنف القصف بطريقة أكثر عنفا ونجحت المدفعية التركية فى الاقتراب من طرابلس على مسافة ١٥٠ مترا، وعند المساء تسبب انفجار البارود فى قتل ٣٠ تركيا آخرين(٥٣).

وبصمود الأتراك وتفانيهم فى الانقضاض على الفرسان، تسرب الوهن إلى نفوس فرسان مالطة وتفككت أوصالهم، ودب اليأس فى نفوسهم من شجاعة المعسكر التركى لذا قرر الحاكم العام استسلامه للأتراك بمقتضى بعض الشروط وأرسل وفدا مكوناً من رسولين إلى سنان باشا لعرض هذه الشروط، التى أظهر سنان باشا قبولها والموافقة عليها(٥٤).

وكان من بين هذه الشروط أن تتاح الحرية للمقاومين للعودة إلى المسيحية، ولكن الحاكم الذى دعى إلى خيمة القائد التركى وتوجه إلى صحبة أحد الفرسان وضع فى القيود ونقل إلى إحدى المراكب، وعاد الفارس إلى القلعة لكى ينقل شروط الاستسلام وهى إطلاق حرية الفرسان للعودة إلى ديارهم فى أوروبا(٥٥).

وفى يوم ١٤ أغسطس ١٥٥١م فتحت القلعة والمدينة أبوابها للأتراك الذين اندفعوا إلى السلب والنهب وقد جرد الجميع باستثناء المدافعين عن حصن كاستليو Castellaio الذين كان فى وسعهم أن يخرجوا بكل ما يقتضيه الشرف العسكرى. أما جنود المرتزقة فقد كان مصيرهم الأسر والرق، أما العرب الذين كانوا فى خدمة الفرسان ووقعوا فى قبضة الأتراك فقد قطعوا تقطيعاً وقد استطاع بعضهم أن يلوذ بالفرار قبل الاستسلام بقليل وأن ينجو بنفسه إلى تونس وقد ذهب زعيمهم فيما بعد إلى مالطة وحصل على إقرار بالصداقة الدائمة مع المنظمة لنفسه ولخلفائه(٥٦).

واحتفل الأتراك بانتصارهم يوم ١٦ أغسطس ١٥٥١ فى الخندق المقابل للقلعة فى الجانب الشرقى وشارك فى حضور هذا الحفل بدعوة من القادة الأتراك السفير الفرنسي السينور دارمونت Senior Dramounte.

وفى المساء أشعل الأسطول التركى الأضواء احتفالا بهذه المناسبة وأصبح مراد آغا حاكما على طرابلس وعاد الأسطول التركى إلى القسطنطينية يحمل عدداً من المسيحيين الأسرى وغنائم وفيرة وعاد بعض الفرسان بصحبة السينور دارمونت إلى مالطة، حيث سجنوا وحوكموا.

إن حكم الفرسان لم يترك أثراً واضحاً فى طرابلس، ولكن من المؤكد أن بعض التحصينات فى القلعة كانت من أعمالهم وخاصة برج القديس جاكومو الذى دمرته فيما بعد القنابل، وأعيد ترميمه مع بعض التعديلات(٥٧).

وثائق من مخطوطات مالطة عن حكم الفرسان لطرابلس الغرب

تكشف مجموعة الوثائق التى ضمها هذا البحث مجموعة تقارير كان يقدمها حكام طرابلس وأيضا تعليمات شمولية صادرة من المرشد الأكبر

للفرسان ومجلس المنظمة عن إدارة طرابلس، ونظرا لأهمية هذه الوثائق من الناحية التاريخية، فقد رأيت إلحاقها بنصها مع تقديم خلاصة وافية عنها حتى يمكن استجلاء الحقائق التاريخية عن هذه الفترة الحيوية من تاريخ حكم الفرسان لمدينة طرابلس، وتخومها التى داعبت أمانى وأحلام أوروبا التى كشرت على أنيابها ومخالبها من أجل ابتلاعها.

وتتضمن الوثيقة الأولى الموجهة إلى برناردو سالفياتى المكلف بحملة جربة، أول إشارة إلى وجود خيرالدين فى تاجوراء، وفيها يصدر المرشد توجيهاته بوجوب العمل على أسر هذا القائد، قبل أن يتمكن من تدعيم وضعه فى تاجوراء.

أما الوثيقة الثانية الموجهة إلى نفس الشخص، فتتضمن جملة من التعليمات الصادرة من المرشد وتقضى بضرورة التركيز على أهمية العمل على إحراق وإتلاف مراكب ذلك الرئيس الذى يدعى «ملك تاجوراء»، كما يوصى المرشد بالعمل على تخريب برج تاجوراء، وتدعيم القلعة فى طرابلس بما يفوت على المسلمين أهدافهم.

أما الوثيقة الثالثة فهى موجهة إلى جارسيا كورتيس حول ما ينبغى الالتزام به من تعليمات فى حكم قلعة طرابلس، وتطلب منه العمل على استلام حكم القلعة وفقا للمراسم المعتادة فى تنصيب الحاكم، والحصول على قسم الولاء من جميع الضباط والجنود والعاملين فى خدمة المنظمة وتفقد سلاحهم الذى يستعملونه، وسد النقص فيه، وإقصاء العناصر غير الصالحة للخدمة، والتأكد من تأدية مراسم العبادة فى كنيسة القلعة وكفاية العدد المخصص لها من القساوسة، وتعهد مدفعية القلعة، ومطابقتها للقيود الرسمية، وتعميم التعليمات الواردة فى هذا المنشور، وتنفيذه دون تمييز بين أحد وإعداد السجلات اللازمة لقيد وتسجيل إمدادات القلعة وتجهيزاتها، وتركات الموتى، والمواد التى تباع للأهالى والرسوم البحرية، كما توضى باتباع الإجراء السابق فى دفع مخصصات الجند مرة كل أربعة أشهر، يؤخذ عقب تسديدها القسم بالولاء والإخلاص فى العمل، ويبدو من هذه الوثيقة أنه كانت تعطى حصة غذائية للعرب واليهود المقيمين فى القلعة، ويوصى المرشد بالنظر فى الغاية التى قررت من أجلها هذه الحصة، والعمل على إلغائها إذا تبين للحاكم أنها قد استخدمت استخداماً سيئاً، كما يوصى بالدقة فى إجراءات الدفع، وينبه المرشد إلى وجوب العناية بحرس القلعة، ويدعو إلى التشديد فى الحراسة الليلية على الأسوار، والنهارية عند الأبواب، وعدم التسامح إزاء المخلين بالواجب كما يأمر بعدم فتح بابى المدينة «الباب البحرى والباب البرى» فى وقت واحد.

ويتبين من هذه الوثيقة أن المرشد قد تلقى معلومات تفيد بأن بعض المسلمين يترددون على القلعة وخوفا من النتائج التى تجرها هذه الزيارات، يأمر بعدم السماح بدخول الأتراك أو العرب أو اليهود إلى القلعة، باستثناء الذين يراجعون من أجل أمور مهمة، فيسمح لهم بالدخول نهارا، على أن يتركوا أسلحتهم وخيولهم عند المدخل.

ويأمر المرشد بتعميم منشور يحظر بموجبه المالكين للرقيق، بقيد رقيقهم فى الأغلال وعدم الإبقاء – فى القلعة – على أكثر من أربعين أسيرا اللازمين للطحن أو القيام بالخدمات الأخرى للقلعة على أن ينقل بقية الأسرى خارجها حتى يمكن الاطمئنان إلى سلامتها وعدم تعرضها للأخطار.

ويبدى المرشد رغبة فى إبعاد اثنى عشر أو خمسة عشر أسيرا تركيا لأنهم يشكلون خطرا على القلعة، بما عرفوا به من جرأة ومكر، كما يوصى بإصلاح وترميم السوق رغبة فى استمرار الحركة التجارية، على ألا يقام هذا السوق عند الخندق القريب من القلعة.

ويوصى المرشد بضم تركة الموتى الذين ليس لهم وريث، أو لم يخلفوا وصية إلى أملاك المنظمة، كما يوصى بالاحتياط والوقاية ضد الوباء الذى انتشر فى قبرص والمشرق وتكليف المختصين بمراقبة الحالة الصحية خوفا من تسرب العدوى إلى جزيرة مالطة وصقلية، وينظم المرشد الطريقة التى تتم بها العمليات التجارية بالنسبة للمنظمة، والحرص على أن تكون الصفقات التى تعقدها مع القراصنة رابحة، وتحويل التاجر إلى مالطة إذا تعذر تسديد مستحقاته فى طرابلس.

ويطلب المرشد أن يقوم أمين الجمرك، بتقديم حساب للدخل والمدفوعات كل أربعة أشهر وتختم الوثيقة بالإشارة إلى تكليف المرشد لأحد المهندسين بإجراء فحص كامل للقلعة وتقديم تقرير شامل عن أوضاعها، والوسائل اللازمة لإصلاحها.

والوثيقة الرابعة، تعليمات موجهة إلى جورج سخنلج، وهى تدعو الحاكم إلى تفقد الفرسان، والتأكد من أحوالهم، وإمكانياتهم العسكرية، ويشير إلى أن القلعة أصبحت مهددة بخطر الهجوم عليها، من قبل بربروسا الذى استولى باسم السلطان على تونس، وأجزاء من ساحل بربريا ويدعو المرشد هذه النجدة إلى العودة حال تأكدها من زوال خطر بربروسا وخير الدين ملك تاجوراء تاركا لقائد النجدة حرية التصرف فى تقرير المواقف التى تقتضيها الظروف، والإبقاء على قسم من هذه النجدة للدفاع عن القلعة، ويطلب المرشد موافاته بصورة تفصيلية عن الأوضاع التى وجد عليها القلعة،

وإخطاره بحاجاته كما يوجه إليه التعليمات التقليدية حول الإجراءات الإدارية والمالية، طبقا لما وردت الإشارة إليه فى الوثيقة السابقة.

وتؤكد الوثيقة الخامسة الموجهة إلى أنطونيو دى بنييرو المكلف بقيادة إحدى النجدات الأهمية الكبرى التى تحظى بها قلعة طرابلس فى نظر المرشد لا بالنسبة للمنظمة، ولكن بالنسبة للمسيحية بصفة خاصة، والملك الكاثوليكى الذى يبدى اهتماماً بكل ما يتصل بسواحل شمال أفريقيا. وتشير الوثيقة إلى ما توافر للمرشد من معلومات حول خروج بربروسا من مضيق القسطنطينية، بأمر السلطان الأكبر، بعدد كبير من السفن ويبدى تخوفه مما تنطوى عليه هذه الحملة من دلائل، وتشير إلى نية بربروسا فى الهجوم على القلعة ومحاصرتها طبقا لما يتردد من شائعات فى الشرق.

ويطلب منه تعريف الحاكم بأسباب إيفادهم والتشاور معه فى التطورات الجارية مع توخى الحذر واليقظة، والقيام بجميع الأعمال التى تبدو أنها ضرورية.

ويدعو المرشد إلى تنسيق العمل والاستعداد لمواجهة احتمالات الحصار الطويل بالتوفير والاعتدال فى الإنفاق والتصرف بحكمة فى مواد التموين.

أما الوثيقة السادسة فهى تنقل معلومات إلى المرشد عن أحوال المدينة والقلعة وقيام فرقة من الفرسان بالاستيلاء على برج تابع لملك جنزور.

وتتضمن الوثيقة السابعة الموجهة باللغة الإسبانية إلى جورج سخلنج عقب تعيينه حاكما على طرابلس، الإشارة إلى وجود مراد أغا الذى يعمل بمساندة بربروسا بكل الطرق، على تهديد القلعة والمدينة الأمر الذى سيلحق أضرارا فادحة بالمنظمة والمسيحية، ويدعوه للتشاور مع رجال المنظمة وفرسانها للحيلولة دون تمكين مراد أغا من تحقيق أهدافه، ويوصى بإصلاح القلعة وترميمها، وإعدادها لمواجهة احتمالات الهجوم والحصار.

والوثيقة الثامنة لم نستطع الإحاطة بمحتوياتها لجهلنا باللغة التى كتبت فيها.

وفى الوثيقة التاسعة يطلب من فرانسيسكو بيكوتس السفر فورا إلى طرابلس، واستلام النقود الذهبية والفضية والأشياء الأخرى الثمينة ونقلها إلى مالطة وعدم السماح بشحن أية تجارة أو أى شىء آخر، من شأنه أن يعوق السفينة عن الوصول إلى مالطة، أو يعرضها للخطر، وألا يزيد عدد الأسرى المنقولين فوق ظهرها على أكثر من خمسة عشر أسيرا، وفى سنة ١٥٤٨ ظهرت فكرة انتقال هيئة الفرسان إلى طرابلس وتوقعا لهذا الإجراء أصدر المرشد العام فى فصل عام النظام والقواعد التالية التى تنطوى على معلومات مهمة ومفيدة من شأنها أن تلقى أضواء على أوضاع قلعة طرابلس، والحكم الذى كانت تمارسه المنظمة.

وتشير هذه الوثيقة، إلى أن الانتقال سيتم على مراحل تدريجية، بحيث يتم فى السنة الأولى إرسال خمسين فارساً، وحاكماً بدرجة «Balio» تخول له الصلاحيات التى يتمتع بها المرشد الأكبر فى مالطة، وتتم إقامة هؤلاء الفرسان طبقا للطرق المتبعة فى مالطة على أن تدرس نتائج هذه الإقامة والإمكانيات اللازمة لمواجهتها، بحيث يسهل الحكم عند نهاية العام بإمكانية رفع هذا العدد إلى مائة فارس، وهكذا كل عام حتى يتم نقل المنظمة، وتحظر الوثيقة صرف أية مرتبات إلى خدم الفرسان، كما تنص على حرمان موظفى الجمارك من رواتب يتقاضونها من القلعة، نظرا لحصولهم عليها من الجمارك، كما يمنع المرشد الإقامة فى القلعة وصرف المكافأة بالنسبة لمن يقيمون فيها من أجل أعمالهم الخاصة، أو افتداء أقاربهم أو قضاء عقوبة.

وتقضى الوثيقة باحتكار المنظمة للبيع أو الشراء فى القلعة وكذلك المتاجرة مع القراصنة التى يجب أن يقوم بها الحاكم أو أمين الخزينة مع مراعاة تحقيق الأرباح من وراء ذلك.

وينبه إلى وجوب المحافظة على فرن القلعة وتخصيص فران ممتاز وعدد من الرقاء اللازمين، وتهيئة المطاحن التى تدار بالبغال أو الجمال أو الخيل، وألا يسمح لأحد بالخبز لغير حاجات بيته، ويستثنى الهيئة الحاكمة التى يحق لها إعداد الخبز لمن يحتاجون إليه.

وتركز الوثيقة على ضرورة إبعاد العناصر العاطلة المقيمة فى القلعة، كما يوصى بتوزيع تركات المتوفين من القساوسة على زملائهم، بحيث لا يحق لهم المطالبة بمخلفات من مات من زملائهم فى مالطة.

نظرا لقيام عدد كبير من العرب وعائلاتهم وأبنائهم بشراء كافة حاجياتهم من القلعة، فينصح المرشد بالعمل على فتح متجر خارج القلعة أو حانة يباع فيها النبيذ والخبز والزيت والجبن والبقول والعسل وغيرها، لحساب الخزانة العامة، ولا يحق لغيرها بيع مواد التموين، بحيث يضمن الربح للمنظمة، والحيلولة دون دخول عدد كبير من العرب إلى القلعة، وتنص الوثيقة على أن يكون أمين الخزينة على علم بجميع المبيعات التى تجرى فى القلعة صغيرها وكبيرها.

إذا ذهب أحد الضباط أو الجنود فى إجازة، يقضيها فى بيته، أو أى مكان آخر بموافقة الحاكم فلا يصرف له مرتبه أو قسطه من التموين خلال هذه الفترة، ألا يمنح للعرب عددا من حصص الفرسان يتجاوز العشرين، ومن المشاة ما لا يتجاوز الأربعين. إن جميع الغنائم والأرباح التى تحصل عليها

القوارب والمراكب والسفن فى طرابلس ينبغى أن تخضع لرسوم الأميرالية التى تدفع إلى خزانة المنظمة، ويسرى ذلك على القراصنة الأجانب الذين يحققون غنائم فى طرابلس ويستثنى من ذلك السفن التى جهزت فى مالطة، تحت علم المنظمة فيحتفظ برسومها للمنظمة هناك.

والوثيقة الثانية عشرة موجهة من المرشد إلى عضو المنظمة كلاوديودى سنجلا، وتفيد بالقرار الذى تلقاه المرشد من الملك القاضى بقيام الأمير دوريا قائد البحرية الملكية على رأس السفن الإسبانية والإيطالية فى غرفتين لمباغتة درغوث رايس مع انضمام سفن المنظمة إليهم فى هذه الحملة، «ونظرا لما نراه من أن هذه المهمة فى خدمة الله والملك والمسيحية جمعاء فلم نشأ أن نتخلف عن النهوض لهذه المهمة وقررنا إيفادكم لذلك»، ويأمره المرشد بالتوجه إلى مسينا والانضمام إلى سفن دوريا حيثما وجدت ويركز على أهمية تاجوراء، كما يلح على أن أمر مراد أغا إذا لم يعالج بالسرعة الممكنة، فسيصعب طرده، حيث يزداد كل يوم قوة ويدعو المرشد إلى إيضاح هذه الفكرة وشرحها لنائب الملك والأمير، وبيان الخطر الذى يجره إهمال هذا العنصر الخطير، وإطلاعه على الرغبة القوية التى اندفعت بها المنظمة للمشاركة فى هذه الحملة خدمة للملك واستجابة لأوامره، ويطلب منه فى الختام أن يتصرف بما يقتضيه الموقف بالتشاور مع قدماء الفرسان والضباط والبارزين من الرجال.

والوثيقة الثالثة عشرة موجهة من المرشد إلى «جاسبارى دى فلليس» عقب تعيينه حاكما على قلعة ومدينة طرابلس.

وهى تشير فى البداية إلى المراسم المتبعة فى استلام السلطة والاحتفالات المعتادة واستعراض القوات، وتفقد سلاحهم والحصول على قسم الولاء، كما تشير إلى التنظيمات السابقة حول الطريقة التى تحكم بها القلعة، وينصح المرشد بالاعتماد على الصالح منها، فإذا تبينت له الحاجة إلى تنظيم جديد، أخطر به المرشد ومجلسه لإصدار الأوامر اللازمة لتطبيقه.

ويوصى المرشد بمراعاة الفرائض الدينية واحترام الآحاد وأيام الأعياد ومعاقبة المتحللين والشتامين وعدم السماح بمزاولة ألعاب القمار بأنواعه، والعبث بالأسلحة واللعب بها، والانتباه إلى الحراسة النهارية على الأبواب والليلية عند الأسوار وعدم فتح الأبواب البرية والبحرية فى وقت واحد.

وتؤكد التعليمات السابقة الصادرة بخصوص الحذر من العنصر العربى، والتقليل قدر المستطاع من تردده على القلعة، مع مراعاة مصالح الجمرك وعدم حرمان القلعة من التموين، كما يأمر بعدم الإساءة إلى العرب القاصدين السوق أو العائدين منه، وألا يسمح بانتزاع أى شىء بالقوة، كما يحظر خروج

الجند من القلعة إلى السوق من غير سلاح، ويدعو إلى تجنب الاشتباكات التى لا طائل من ورائها، ولا تجر سوى خسارة بعض العناصر الصالحة، والذخيرة الحربية، وتنص الوثيقة على إيداع تركات المتوفين عن غير وريث أو وصية فى ذمة الخازن إلى أن يفصل فى أمر الجهة التى تؤول إليها التركة ويطلب إخطاره والمجلس بكل الأشياء المهمة التى تقع لهم.

والوثيقة الأخيرة صادرة إلى جاسبرى دى فلليس ويشير المرشد فى هذه الرسالة إلى ما بلغه من معلومات عن طرق مختلفة، وخاصة ما تلقاه عن طريق زميلهم جورج دى سانتو جوان تؤكد خروج الأسطول التركى واتجاهه نحو مالطة وقلعة طرابلس، الأمر الذى أثار رغبة المرشد فى تدعيم حامية طرابلس، وتحصينها، وأصدر أمره بسفر عضو المنظمة غسو لييم كوبير مع بعض الفرسان وجيوفانى كالابريزى مع جنوده للتوجه إلى طرابلس ويقرر المرشد تنصيب كوبير نائبا للحاكم العام، ويوصى بصرف ما يحتاج إليه الجند من أقمشة من الخزانة العامة، على أن يسدد على حسابهم، وأن يحتكموا إليه فى المنازعات التى تقع بينهم، وأن تكون فرقة النجدة تابعة لقيادة ضباطها الذين يرافقونها، وأن تخول لقائدها كافة الصلاحيات والسلطات والتصرف وفقا لدرجته كقبطان للمدفعية.

إن المرتبات التى تدفع ينبغى أن تكون مماثلة لمرتبات جنود الملك، أى مرتبات حرب وليست مرتبات حامية، وهى تصرف طبقا للتقاليد السائدة أثناء الحرب، فى التاسع والعشرين من كل شهر اعتبارا من اليوم الذى ينتهى فيه أجل المرتب الذى دفع فى صقلية.

يجرى نقل الجنود على نفقة المنظمة إلى قلعة طرابلس والعودة بهم إلى مسينا دون خصم أى شىء عن الأكل والشرب أو النقل.

إذا انقضى شهر سبتمبر المقبل دون أن تقوم الحملة التركية بمحاصرة طرابلس فينبغى أن يعود هؤلاء الجنود إلى مسينا على نفقة المنظمة دون الإبقاء على أحد منهم فى قلعة طرابلس، ولو أبدى الرغبة فى البقاء.

أن يزود الجنود بحاجاتهم الغذائية من خبز ونبيذ وأشياء أخرى بنفس السعر المقرر للجنود فى طرابلس.

أن يكون ما يغنمه هؤلاء الجنود من أسرى وسبايا وأشياء أخرى ملكا خاصا بهم ولا يحق لأحد تجريدهم منه.

إذا جرح أحد الجنود فى خدمة القلعة يقدم له الإسعاف والعناية والعلاج على نفقة المنظمة دون خصم من مرتبه.

أن يزودوا خلال الوقت الذى يقيمون فيه بالبارود والرصاص وفتيل الألغام على نفقة المنظمة.

الخاتمة

كشفت هذه الدراسة النقاب عن مدى تعنت وغطرسة القوى الأوروبية ومن ورائها البابوية فى تحقيق أحلامهم التى داعبت أمانيهم فى وأد القوى الإسلامية داخل ديارهم، لكن خاب أملهم وتضعضعت جحافلهم وتهاوت تحت ضربات القوى الإسلامية المتدفقة والمتوثبة التى أفقدتهم توازنهم فكان الغرم عليهم والغنم للإسلام فى النهاية.

[١] برهنت الدراسة عن مدى الأحقاد الدفينة التى تكتوى بها أوروبا تجاه القوى الإسلامية وعقد العزم على التنكيل بهم بعد سحب البساط من تحت أقدامهم من شبه جزيرة إيبيريا والتنكيل بهم.

[٢] أبرزت الدراسة تكتل القوى الأوروبية وتعاظم قوتها حتى أصبح لها اليد الطولى فى توجيه الضربات إلى القوى الإسلامية التى فقدت توازنها، وبالتالى تسيد القوى الأوروبية للمياه الإسلامية فى البحر المتوسط ومد نفوذهم إلى الحواضر التى تحتضن البحر المتوسط مثل طرابلس فى ليبيا وجربة فى تونس وغيرها من الأصقاع العربية.

[٣] كشفت الدراسة عن انتفاخ أوداج ساسة أوروبا بعد سقوط حواضر المسلمين وإحكام قبضتهم عليها وممارستهم شتى ألوان التنكيل والتشريد والتعذيب المألوفة لديهم بعد القضاء على الأخضر واليابس فى الديار الإسلامية.

[٤] أوضحت الدراسة تناوب وتداول السلطات بين ساسة أوروبا إلى أن وقعت طرابلس بين براثن فرسان مالطة تمهيدا لطمس وإخفاء معالمها الإسلامية بعد ممارسة شتى ألوان التعسف والاستبداد بعد وضع البذور المسمومة فى أرض طرابلس وتخومها.

[٥] أشارت الدراسة إلى الصحوة الإسلامية التى فجرتها الدولة العثمانية بعد تعاظم قوتها، وبالتالى تشمير سواعد الجد من أجل تضييق الخناق على الفرسان وتعقبهم أينما وجدوا تمهيدا لقطع دابرهم.

[٦] حققت الدراسة مدى تهاوى جحافل الفرسان بعد أن تفككت أوصالهم وأصابهم الذعر بعد أن تجرعوا مرارة الهزيمة وتمرغوا فى أوحالها بفضل توثب القوى العثمانية البارعة، وتوج ذلك بأفول نجم الفرسان عن طرابلس وسطوع نجم آل عثمان على المدينة الفاضلة التى تجسد مركز إشعاع حضارى عبر التاريخ بفضل موقعها الفريد بين أحضان البحر المتوسط، علاوة على كونها بوابة لأفريقيا من ناحية الشمال إذ تطل برأسها على مياه البحر المتوسط الجارية.

الملاحق

الملحق الأول

قائمة بأسماء ولاة منظمة فرسان مالطة فى طرابلس

قائمة بأسماء ولاة منظمة فرسان مالطة فى طرابلس

١- جاسبارى دى سانجوسا Gaspare De Sanguessa
١٥٣٠- ١٥٣١

٢- برناردينو ماشادو Bernardino Machado
١٥٣١- ١٥٣٢

٣- أوريليو بوتيجلا Auerlio Bottigella
١٥٣٢- ١٥٣٣

٤- غارسيا كورتس Gorcia Cortes
١٥٣٣- ١٥٣٥

٥- جورج سكيلنج Giorgio Schiling
١٥٣٥- ١٥٣٧

٦- فرناردو دى براكامونتى Fernardo De Bracamonte
١٥٣٩- ١٥٤٤

٧- كريستوفر دى سوليس فرفان Crisotoforo De Solis Farfan
١٥٤٤- ١٥٤٦

٨- جيوفانى لافليتى Giovanni La Valette
١٥٤٦- ١٥٤٩

٩- بيترو نونيز دى هريرا Pietro Nunes di Herrera
١٥٤٩- ١٥٥١

١٠- جاسبارى دى فاللليس Gaspare De Vallies
أبريل ١٥٥١- أغسطس ١٥٥١

الملحق الثانى

نصوص الوثائق

Documenti dell'Archivio di Malta Relativi al Dominio dei Cavalieri a Tripoli

I

Il primo accenno alia presenza di Cairadino a Tagiura si trova nella seguente istruzione del Gran Maestro al priore di Roma, fra Bernardo Salviati, Capitano Generale delle Galere, incaricato di una campagna navale :

« ... quando non succedesse el caso iuxta l'intento nostro, che Dio no' lo voglia, ritornarete cum tuta la gente qui o pure alia volta de Tripoli secundo giudicarete meglio per li tempi et vittoaglie vi trova-rete, sforzandovi fare quelli effetti cognoscerete essere al proposito in

servicio della Christianita et honore de nostra Religione, maxime ob-vare ch'el Rays fatto Re de Tagiora non fermi 'l pede in quelle parte cercando tuti li expedienti de pigliarlo ». L'istruzione e in data 17 agosto **1531.**

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 415 (1531 - 1534), fol. 215 v.).

II

« Instructione a voi venerando prior de Roma, Capitano Generale de nostre Galere et armata de quanto haverete a fare in questo viagio che Dio vi conduca et riduca a salvamento.

« Et primo sapendo quanto importa brusiar la fusta di quel Rays che se dice Re de Tazora ct havendo cum voi li piloti et gente per far Feffetto sopra cio non vi dicemo altro excetto che partiate al nome de Dio et procediate in tuto cautamente si in mare come per terra cum l'antivedere si conviene, de manera che detta fusta sia brusiata et se possibile sera ruynata la torre.

« Item fatto questo como speramo farete con el governator de' Tripoli et havuta informatione di successi di quelle parte possendo fare alcuna bona opera in favor del Castello et danno delli inimici, pigliarete Foccasione como parera conveniente et bene.

« Item direte da parte nostra al detto govematore si como gli scrivemo che habiamo deliberato mandarlo da sua M.ta per alcune cose importante a nostra Religione et che se imbarchi sopra Ie gallere per venir con voi lassando '1 cargo et loco suo in sua absentia al comandator fra Bernardin Machado al quale farete obedire tutti quelli del Castello si Religiosi come altri incargandoli da parte nostra che sia vigilante in quel governo como in lui confidamo.

« Item parendovi andarete et farete un torno in sino alii Secagni si potresti riscontrare alcune fuste o presa procedendo cum consiglio delli patroni et de altri pratici de quelle bande et fatto questo ritor-narete qui al piu presto sera nossibile... Datum Melite — die 6 octobris 19531 ».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 415 (1531 - 34), f. 221).

III

« Instructione a voi Religioso in Christo a not charissimo fra Garcia Cortes Comandator d'Ascon de quanto haverete a fare nel governo vostro del Castello et fortaleza nostra de Tripoli che Dio vi conduchi et incamini in tutte Ie action vostre :

« Et primo

« Havendove noi insieme cum nostro Consilio per la sufficientia vostra et fede tenemo in voi ellecto et deputato Govematore di detta fortaleza, mandamo nostro Galione aposta fatta per portarvi cum tre Cavalieri in compagnia vostra. Partirete donque al nome de Dio et gionto darete nostra lettera al Comandator fra Aurelio, al qual scrivemo si como lui a rechiesto che venga per deffendere Ie ragion sue del priorato de Pisa, et che vi facia dare a nome nostro et de nostra Religione, obedentia, sacramento et homagio da tutti li officiali et soldati cum tutta la sollemnita et cerimonie accostumate remettendo-*ve.* el govẽrno et facendovi consignare el tutto.

«Item intrato in possessione del governo farete far la mostra o· sia resigna de tutta la gente sta al soldo nostro pigliando da loro juramento de servir bene a noi et a nostra Religione ogni uno in suo officio secundo gli sera ordenato

et comandato et saperete si Ie arme porterano facendo la mostra sonno (sic) loro, et quando no' lo fusseno vederete che ne comprano et stiano ben in ordine come si conviene. Et per che intendemo ci sonno alcuni soldati manco di membri o altra-mente insufficienti et inutili, gli appontarete et notarete dextramente dandone aviso de quali et quanti sono a cio vi possiamo provedere d'altri al loco loro, et parendovi expedirne alcuno, lo farete provedendo in questo meso ch'el Thesoriere non anticipi denari ne robba a simili homini inutili a cio piu facilmente si possino expedire.

«Item essendo la chiesa del Castello accostumata tenere quatro Capellani, avertirete che sieno sufficienti provedendo ch'el culto divino sia ben fatto et revederete Ie joye et ornamenti d'essa chiesa, com-probandoli cum l'inventario antico et provedendo che stieno in man de persona secura che li doni bon recapito.

« Item revederete l'artelleria del Castello si tutta sera in essere conforme al inventario, qual sta in poter del Notario insieme cum quella habiam mandato dapoi che secundo intendemo alcuni versi et altre bombardete di ferro si sonno presi in un galione che fu mandate dal governatore a Capo di Mesurata et vedendo la difficulta tenemo de recuperar monitione non consentirete che della fortaleza se accom-modi ne soccorra Corsari ne d'artelleria ne di qualsivoglia monitione.

« Item mantenendo noi a soldo per sustenimento detta fortaleza ducento persone tra official! et soldati in li quali si comprende li quatro Capellani della Chiesa recognoscerete si ci sono tutti et si li officiali sono tutti sufficient! per loro officio dandone aviso a cio bisognando possiamo provedere.

« Item nel numero di detta gente sonno compresi dodici bombar-dieri, farete parimente rivederii si tutti sonno habili et sufficienti, or-denando che facino Ie pedre et altri artfici de monitioni como si acos-tuma in ogni altra fortaleza. Et farete recognosere lo legname tanto per l'artelleria come per la stantia et provisione dando aviso a cio si possa provedere.

« Item portate cum voi il quinterno de'bandi et gride altre volte fatte sopra il regimento de la fortaleza et bona guardia delle muraglie et porta, lo vederete bene et la prima festa poi che sarete gionto et intrato al governo detta la prima messa farete pregonare et gridare in pubblica piaca con intervento del Notaro et argusino, cum lo tamborlo como s'acostuma Ie cose contenute in detto quintemo, o parte d'esse como vi parera meglio provedendo che detto bando sia executato senza haver respetto a nessuno a cio che ministrando bona justitia in la fortaleza ogni un possa vivere quietamente et in pace.

« Item havendose de consignar in man del thesoriere tutte Ie cose che di qua se mandano per provision del Castello, farete ch'el Notaro registri tutti li responsali et cossi medesmo tutti li denari et robbe che mtrano in potere

di detto thesauriere como denari di cavalcata, arren-damento di furno, beni de morti robe et provision che si vendino a mori, dretti de' Armiragliato et di qual si voglia altra cosa che intri in poter de detto thesauriere, qual registro farete tenere da esso Notaro in bona forma.

« Item la paga de la gente si costuma fare de quatro in quatro mesi per man del thesauriere in presentia delli officiali et con intervento del Notaro, et facendosi detta paga si sol pigliare juramento di soldati di ben servire. Pero cossi lo farete exequire notando la summa che havera montato la paga, della quale farete cautela al thesauriere per suo discarico, similmente si da alia gente soldata ogni mese sua ration di pane et vino qual ancora vedrete quanto monta facendone cautella al thesauriere et per che siamo informati che si da ratione ad alcuni mori et judei avertirete per qual effetto si da detta ratione et parendovi esser mal empleata, la levarete.

« Item tutto quello che si dona alii soldati, in denari robbe et provisioni per conto di lor salario a d'essere con polica sottascrita de vostra mano, fatta et registrata per il notaro. Et si accostuma ad alcuni soldati per subvenire a loro necessita anticipar lor salario di quatro mesi cossi lo farete continuare pur che non sieno homini di mala fama et da poco.

« Item essendo la bona guardia dil Castello como sapete piu im-portante de tutto il resto, sarete molto vigilante

sopra la guardia si fa di notte in la muraglia et di giorno in la porta, non perdonando a nessuno che mancasse, ordenando al capitano et tenente della porta non la debbiano aprire che prima non sia sonata la campana, a cio quelli a chi toca la guardia possano venire alia porta et che in nessu-na manera Ie doe porte cioe della marina et della terra non si aprino ae stieno aperte in un tempo.

« Item perche siamo informati che in la fortaleza intrano moiti mori con lor armi si a cavallo como a pede per evitar ogni scandalo et mconveniente che potesse uccedere, volemo che non lassiate intrare nel Castello nulla sorte de turchi, mori, ne judei excetto si alcun ve-nesse per negociar cose importante, qual lassarete intrare como acca-de alia giornata facendoli pero lassare Ie armi et cavalli alia porta.

« Item farete gitar bando che ogni uno habia de tenir soi schiavi ferrati in doi piedi et non comportarete che piu di quaranta simili schiavi che sono necessarij per macinare et altri bisogni stieno in la fortaleza et questi quaranta potrano essere di quelli che anno meso de rescattarsi; tutti gli altri farette che lor patroni li mandano o por-tano via per star piu securi et fora d'ogni suspicione et per che semo mformati che in la fortaleza sonno XII o XV schiavi turchi quali, come sapete, sono per loro astucia et valore molto periculosi, volemo che li faciate levar et portar tutti fora della fortaleza excetto quelli che forse haverano dato principio a lor rescato.

« Item a cio che li mori possino star con lor commoditate et ne-gociar con li Christiani facendo lor mercato o sia goco volemo che faciate rifare et restaurare dette coco o mercato come lo fece fare et tenia el Comandator fra Gaspar Sangoessa, non permettendo che al fosso si facia piu detto coco.

« Item accadendo che in detta fortaleza morisse alcuno senza testamento o senza herede ordinate che tutti li beni soi pervenghino in potere del thesoriere con intervento del Notaro al beneficio de nostra Religione.

« Item per che intendemo Cypro et alcune altre parte de levante sonno suspette di peste provederete pr adesso et per lo avenire sopra cio deputando persone idonee che vedano et sieno vigilanti sopra la sanita cum la diligentia si conviene che importa la salute non sola-mente della fortaleza ma di questa insula et Sicilia.

« Item como sapete e stato provisto in nostro Capitolo Generale che li Governatori non facino mercantia excetto a nome de nostra Re-ligione ; per questo vi dicemo che quando capitasse in la fortaleza alcun corsaro o altra persona cum mercantia et robbe che Ie debbiate comprar a nome della Religione, avertendo in li precii che si guadagni al manco fine a cinquanta per cento, piu o manco como meglio parera a voi, et si in mano del thesoriere non fusseno denari nostri ne lli man-darete pagar qui a not, essendo contente tale persone da cui compra-rete dette mercantie.

« Item ordenarete al secreto et credenciere della doana che de quatro in quatro mesi vi debiano dare li conti della doana cioe delli introiti et exiti et preso juramento da loro che detti conti sono justi et senza fraude et che hanno cercato Futile della doana como si con-viene mandarete qua alii signori del thesoro detti conti ogni quatro mesi.

« Item mandamo cum voi maestro Pichino nostro ingenieri et il maestro di far calsina cum il carbone. Farete che detto ingenieri reve-da bene il Castello per saper darne qua relatione dicendo in quali termini sta et como si devera reparare et che Faltro faci calcina et farete far il forno per detta calcina nel fosso del Castello in chel loco vi par-ra piu al proposito et tanto in Ie cose sopra scritte como nel resto succedera alia jornata, provederete como in voi confidamo dando sempre aviso del seguito. ... Melite, die X mensis junii 1533 ».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 415 (1531 - 34), fol. 246 *v.* et seg.).

IV

« Instructione a voi venerando gran Balio fra Georgio Scling de quanto haverete a fare in questo viagio per visitar, et soccorrere nostra fortaleza et Castello de Tripoli che Dio vi conduca a salvamento.

«... Partirete cum nostro Galione accompagnato da questi cava-lieri, quali mandamo per soccorso, et gionti al

Castello farete la visita si delli soldati se sono ben in ordine et sufficienti come delle muni-tione conforme a vostra preminentia secundo se accostumava al Castello de Sancto Petro, scrivendo particularmente ogni cosa per farcene poi bona et sufficiente relatione.

«Item, per stare el Castello in periculo, respetto a Barba Rossa, qual al nome et cum Farmata del Gran Turco se e fatto signor de' Tunes et di quelle parte de Barbaria, parendovi conveniente et bisogno secundo Ie nove trovarete cum el parere del Govrnatore, restarete per eoccorso nel Castello cum l'auttorita jurisditione et superiorita tanto sopra detti Cavalieri come sopra li soldati, et in tutte Ie cose concer-nenfce la guerra de manera che siate obedito et reverito como se fusse la persona nostra dicemo del Maestro che cossi lo commandamo et volemo confidandone in la defensione del Castello et in tutto il resto farete come di voi si spera.

«Item, restando a Tripoli cum l'aviso del Governatore, provede-rete de uno maestro d'ostal per tenire l'albergio et fare la spesa orde-nando al thesoriere che lo proveda de vittuaglie et de quanto sera bisogno, ma che si vadi moderatamente et tenghi bon conto accomo-dandosi al loco et tempo et secundo la necessita.

«Item, trovando Ie cose in tal dispositione che non fusse bisogno restare, cioe quando non se dubitasse de Barba rossa ne di Caradino Re di Tajora, potrete ritornare cum detti

cavalieri o parte d'epsi las-sandone alcuni secundo cum l'aviso del governatore vi parera meglio et piu expediente.

«Item, restando scrivirete particularmente in qual dispositione havete trovato el Castello ben o mal provisto cum Ie nove se havera-no in quelle parte, avisandone di quello haverete bisogno et in questo mezo sopra tutto attenderete che si facino bone guardie provedendo al resto come la importantia del caso ricerca et sopra voi ne riposamo. ... Melite, die XXII decembris 1534 ». (Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 416, fol. 190).

V

« Instructione a Voi Commendator fra Antonio de Binero de quanto haverete a fare in questo soccorso de Tripoli che Dio vi con-duca a salvamento.

« Et primo

« Per essere la fortaleza et Castello nostro de Tripoli di tanta importantia come sapete non solamente a nostra Religione ma a tut-ta la Christianita et in particulare adesso di suoa Cesarea Maesta per Ie cose di Barbaria, havendo nova come Barbarossa era uscito del streto de Constantinopoli per Comandamento del gran Turco cum XL galere ben in ordine ultra XVIII o XX fuste cum scale piconi et sappe, confidandone in la prudentia et valor vostro et dubitando che detto Barbarossa secondo gia se parlava in levante non andasse per dar un salto al detto Castello o

assediarlo, vi havemo electo et depu-tato per Capitano de soccorso con XXV Cavalieri et alcuni soldati, et a questo effetto per non tardare mandamo Ie gallere et in compa-gnia el Navilio per voi noleggiato con alcune vittuaglie et legna vo-lendo et intendendo che ditti Cavalieri et soldati vi habiano de reve-rire et obedire come Ie persone nostre et facendo el contrario, che li possiate castigare o pur mandarii qua conforme alii usi et stabilimen-ti de nostra Religione.

« Pero partirete al nome di Dio et gionto al Castelio farete inten-dere al Reverendo gran baylio Governatore la cagione de vostra an-data et consultate insieme Ie cose occurrente, serete vigilante et vi sforzarete dal canto vostro col vostro soccorso de far tutte quelle cose vi parerano et trovarete essere necessarie et al proposito per la bona guardia et defensione de detta fortaleza, offensione de gli inimici et favore de nostri amici la propinqui, accomodandovi cum detto gran bailio et altri di manera che siate sempre in bona unione.

« Item, pigliarete dal thesauriere tutte quelle vituaglie et altre cose che serano bisogno per Ie tavole de Cavalieri et li provederete de mangiare et bevere, spendendo piu moderatamente yi sera possibile et cum quella restrintione et cautella si conviene et si suol fare in Ie fortaleze quando si dubita de assedio, provedendo al tutto como di voi confidamo cum dar al continue aviso di quello occurrera alia

giornata a tal che bisognando vi possiamo provedere et che sapiamo li progres-si et ben star vostro et della fortaleza.

... Datum Melite etc. die VI mensis Augusti MDXXXVI ». (Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 416, fol. 205).

« Instructione et ricordo a voi Religiosi in Christo a noi charissi-mi fra... de Belengniere et Petro Felizes di quello haverite a fare'in questo viagio per darle et lassarle poi a monsignor Reverendissimo nostro Maestro.

« Et **primo**

« Partirete cum el bergantino et de Palamos o Barcalona secundo 11 tempi et che meglio vi parera andarete in diligentia alia volta de Caspe dove gionti darete nostre lettere et la bulla de sua electione a sua Reverendissima signoria besandoli la mano cum la debita obe-dientia da parte nostra.

« Item la informarete di successi di queste parte como laudato Dio stamo bene, suo convento unito, et in pace non tropo mal provisto de vituaglie et d'altre cose, et cossi medemo sua fortaleza et Castello de Tripoli dove fano pochi giorni che li nostri, essendo ite Ie galere per tal effecto, presero la Torre del Re de Zanzor (sic) et quelle altre terre ultra Ie tre galeote cum la presa del navilio de mori come sapete et che lion si manca de ogni banda maxime cum Ie galere fare al convento bonissime opere contra infideli.

. . . . . .

. . . . . ٤

... Datum Melite etc., die III mensis novembris MDXXXVI ».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 416, fol. 205 seg,).

VII

« Instruciones a vos vendo religioso et fray Jorge Schiling gran baylio de Alemanja y capitan de nuestras galeras de lo que aveys de hazer eneste viaje que partis para Tripol que nuestro senor Dios os Ileve y trayga a salvamento.

« Et primo

« Con el primer buen tiempo partireys en el nombre de Dios deste nuestro puerto de Malta con nuestras quatro galeras para la vuelta de Tripol con toda la diligencia que fuerc possibile porque ay mucha nc-cessidad de vueatra Ilegada porque como sabcys es Ilegado en Tajora un renegade llamado Morataga el qual con el favor de Barbaroxa pro-cura por todas las vias y modos que puede damnificr el castillo y cib-dad que seria no poco danno nuestro y de la Christianidad; por tanto por que las cosas maduramente pensadas suelen tcner buenos fines, con consulta del religioso nuestro fray Hernando de Bracamonte

y de los patrones de nuestras galeras y de otros cavallcros de la Religion que a vos paresciere procurareys de cxpelcr al dicho Morataga que no pueda effettuar su dannado proposito buscando todas a quellas vias y modos que con el parescer dc todos los sobredichos vieredes ser mas convinientes.

« Item, por quanto el dicho Morataga haziendo algun danno en la cibdad o apoderandose della, redundaria no enpoco danno al castillo por la vezindad quo con el tiene, vos dczimos que si os pares-ciere ser necessario fortaleceria y repararia, sacareys de las galeras gente para ello, poniendo en ello toda buena ordcn y guardia por quo a causa dela gran cantidad desclavos que llevays y de los cnemigos, nuestras galeras y vos otros no seays damnificados.

« Item por que mandamos municiones de polvora y salmitre y sacres dexareys lo todo ally por que nos a parescido ser necessario para mayor fortificacion del dicho castillo.

« Item, por quanto ultra de los soldados de las galeras llevays otros dexar los eys ala placa del dicho castillo si vieredes que son todos necessaries, y si todos no fueren necessarios restaran a quellos que a vos y al governador parescieran traycndo los demas en las dichas galeras. Mas si las cosas estuvieren en tal estado que pares-ciera no ser bastandes los dichos soldados, sacareys de las galeras los que os parescieran con tal que las galeras no queden desarma-das.

« Item, dexareys dos lombarderos que llevays para el dicho castillo. y, si fuerc menester mas tomareys los de las galeras, mi-rando siempre que lo uno y lo otro quede proveydo.

« Item, por no ser tan ciertos como al presente estan las cosas del castillo, y de loque podria succeder despues de vuestra Ilegada no determinamos el tiempo que ally estareys salvo lo dexamos a vuestra buena discrecion y prudencia para que lo mesureys justa la necessidad y tiempo y lugar que vieredes necessario confiando de vuestra continua diligencia y vigilancia que en todas las cosas siem-pre aveys tenido y teneys.

« Item, todas las cosas suso dichas complidas como sea dicho quando vieredes ser tienpo conviniente de venir os podreys venir por Secanos por si toparedes algun navio o fusta de infideles para venir con alguna ganancia en lo qual todo os governareys como os aveys governado y como per experiencia lo avemos siempre conoscido, y eomo de vos sespera.

« Item, con gran studio y diligencia procurareys con todos quan-tos son en las dichas galeras que ayan siempre de honrrar el nombre de Dios y de su bendita madre y de todos los santos trabajando y apartando fcoda blasfemia y todo mal.

« Item, comendamos a todos los cavalleros que ayan de tener y observar la obidiencia y hazer onrra a vos y a todos los patrones.

« Item, sobre toda cosa estareys atento haziendo hazer buena guardia en las dichas galeras como de vos sespera por que por negli-gencia no os acontesca algun escandalo, en las galeras especial que como vos sabeys llevays buena cantidad de esclavos turcos.

« Item por quanto jsxta la forma de los establimentos a la digni-dad y preheminentia de gran baylio de Alemana conviene visitar el castillo de san Pedro, estando la religion en Rhodas, por tanto vos dezimos por la razon suso dicha que conforme a vuestra preheminen-cia visiteys y reformeys el dicho Castillo y fortaleza de Tripol juxta la forma y tenor de los establimentos y costumbres de nuestra Religion... Melite, die nona mensis decembris 1542 ».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 418, fol. 283 v.).

VIII

« Instructiones a vos venerando Religioso etc. fra georgio Schi-ling gran baylio de Alemanja y capitan de nuestras galeras de lo que aveys **de** hazer en este viaje que partis para Tripol que nuestro seftor Dios os lleve y trayga a salvamento.

« Et primo

« Como ya sereys informado a complimjento por otras instruc-tiones nuestras que llevays de nueve de diziembre del afto passado de lo que se avia de hazer en este dicho viaje ansi cerca del fortalescer el dicho castillo y cibdad como de otras cosas que vos parescieron en-tonces necessarias. Por tanto por agora no nos paresce tornar las areplicar salvo referirnos a ellas, queriendo que haguys segun el tenor y forma dellas, con annedir los capitulos infrascriptos.

« A nos parescido sera bien que antres que vays a Tripol os pas-seys por los Secaftos y ally podreys sperar algun navio de ynfideles que segun somos informandos se speran cadadia de alexandria. .... con talquc no ayayis de retardar mas de hasta quinze o veynte dias por que no se pierda vuestro viaye tarn necessario annydiendo que si os paresciere que sera bien no esperar tanto lo remitimos a vuestra buena discrecion para que segun la necessidad occurriere lo hagays y como mas al servicio y utilidad dela Religion y del castillo conviniere.

« Item, por que aegun emos sabido por letras del governador que de un castillo que esta cerca del castillo podria padescer no poco dan-no y detrimcnto el castillo si los enemigos lo tomassen, y estando for-talcscido mucho provecho, por esto vos dezimos que seyendo tan necessario

voa con el govêrnador dareys orden que se repare el dicho Castillejo lo mejor que scr pudiere.

« Item dexareys a la placa del dicho castillo los soldalos que llevays paresciendo ser todos necessaries y si todos no fueren necessaries restaran a quellos quo a vos y al governador paresciere, trayendo los otros en la dichas galeras. y en lo demas como emos dicho nos referimos a las instructiones arriba dichas, para que os governeys por ellas y a lo que con voa emos platicado y en todo a vuestra buena diligcntia saber y prudontia lo remitimos que lo hagays como de vos scspcra por que en vos nos descargamos. In cujus rei etc... Mclite, die VII mcnais aprilis MDXLIII ».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 418 (1541 - 43), fol. 285).

IX

« Instructione a voi religioso in Christo a noi charissimo fratri Francesco Becutis patrono de nostra galera Santo Joanni di quello ch'haverete a fare in questo viagio de Tripoli che Dio vi conduca et reduca a salvamento.

« Et **primo**

« Partirete con la maggior diligenza che vi sia possibille et anda-rete alia volta de Tripoli a golfo lanciato senza tocari li Sechagni ne altro luoeo, se il tempo non vi sforzase et gionto sarete in Tripoli da-rete nostre lettere al

thesorero de ditto castello et a fra Bernardino Morosio ali quali scrivemo che tutti li denari, oro argento et altre joye che del formento sárano riscotuti si donino et consigneno contati et numerati et sigillati al ditto nostro fra Bernardino Morosio che per questo effecto sta in Tripoli che li porta in qua et se per caso detto fra Bernardino non potra venire ve li donino contati et numerati come di sopra e ditto a voi li quali portarete securi et a bon recapito.

« Item, per che nostra intencione e che detta galera cossi a la andata come a la tornata vada expedita per alcuno pericolo che po-trebbe succedere, non consentirete che si carrica alcune robbe ne mer-cantie ne altre cose che donino impedimento, ne mano ala retornata se porte niuno negro ni sclavo de particulari per che altramente sera-no perduti et confiscati ala signoria. Benche se si trovano alcuni schiavi de la signoria in Tripoli, ne levarete in fino a quindeci et non piu, et in tuto vi governarete comme di voi si spera procurando di essere presto et con diligentia qua in Malta per la necessita che si ha delle galere et como da voi spettamo... Datum Melite, etc., die quarta mensis junii MDXXXXV ».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 419, fol. 49).

« Instructiones a vos religioso etc. fray Hernando de Bracamon-te commendator de Ruviales y capitan de nuestras galeras de lo que aveys de hazer en este viaje que

partis para Berveria que nuestro seftor Dios os lleve y .trayga a salvamento.

« Por que la causa principal por que os embiamos es por si po-dreys tomar la galeota de Morataga la qual segun somos informados la quiere embiar alevante por ciertos designos que tiene contra el nuestro castillo de Tripol, por tanto en el nombre de Dios os partireys con diligentia con nuestras quatro galeras. y para effectuar lo suso dicho guardareys el orden infrascripto.

« Que partidos de a qui procurareys tomar tierra en la costa de Berberia de noche de lante de Tajora dexando dos galeras a XXV o XXX millas en mar en jolito, y las otras dos yran a tomar la posta ala xar dexando el vergantin de Brandano a doze o quinze millas segun paresciera alos officiales en cima de Ta ora el qual vergantin podra estar en jolito tada la noche hasta la manana, y siendo de dia tomara su camino hazia Tripol y si la galeota saliere tomara la buelta de mar acercandose a las galeras, y las dos galeras que daran en la xar procuraran de tomarle la tierra que no pueda tornar a Tajora y entonces todas quatro seguirla. Mas si la galeota no saliese el vergantin seguira su camino a Tripol lo mas secreto que sea possible y echa-ra un hombre en tierra qual os paresciere infonnandose si la galeota esta en Tajora. o no. y sabiendo que no es partida dicho vergantin de dia tomara la buelta de las galeras por que podria ser que en esta segunda buelta la galeota saliesse, mas si caso fuesse la

galeota partida de Tajora dicho hombre se informe quantos dias a que sea parti-do, y dicho vergantin vaya a las galeras por dalles la nueva, y en tal caso las dos de dichas galeras yrsean costa a costa hasta el cabo de Mesurata, y las otras dos por mar lexos ocho millas hasta el dicho cabo, y si en el camino hallase des algunos navies de infieles putiendo los tomar los tomareys, o veramente a quellos que dexastes la otra buelfca.

« Item, por que nuestra intencion es que en el dicho camino no tardeys mas de quinze dias, si llegados al cabo de Mesurata y perdida la esperanza de tomar dicha galeota sobrassen algunos dias de los quinze, podreys yr la buelta de los Secanos, y de ally alos Gelbes por si hallasedes algun navio de ynfieles, hasta complir el dicho tiempo, y lo mesmo hareys si la galeota estando en Tajora, y ala yta ny ala tornada saliese que nos sera necessario yr al cabo de Mesurata, mas yreys derechos alos Secanos, y de ally alos Gelbes hasta aver gastado el tiempo de los quinze dias, los quales complidos tomareys la buelta de Malta con toda diligencia... Datum Melite etc., die XIIII mensis Ju-lii MDXXXXVI) ».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 420, fol. 210 v.).

XI

Nel 1548 in previsione del progettato trasferimento dell'Ordine a Tripoli veniva stabilito in un « Capitolo Generale » il seguente ordi-namento, che da notizie interessanti sul governo della citta :

« Ordinationi sopra Tripoli.

« Et prime.

« Attento che in tutti li rolli si e supplicate che la Religione si transferisca in Tripoli hano ordinato che in questo primo anno si man-dino in detto luogo cinquanta cavallieri, e tun governatore, qual sia baglio, accio sia obedito in detto Castello, come monsignor Reveren-dissimo qui in Malta, tenando alii detti cavallieri albergia, secondo fanno li piglieri qui in Malta, et facendosi questo bastaria di tenere Bolum ducento sessanta soldati in circa al soldo del Castello, come appare particularmente per una lista, et che li Reverendi Signori pro-curatori del comun thesoro tengano il detto luogo sempre ben pro-visto de vittoaglie, accio che complito che sia l'anno si comprenda t'acilmente se in la seguente annata si potrano mandare et accrescer fino al numero de cento cavallieri, e tconsequtivamente de anno in anno, mandarne di piu cinquanta fino che tutta la Religione fusse in detto luoco, et vedendosi che non si potrano trattenere in detto luoco nel primo anno li cinquanta cavallieri, o nel secondo anno li cento, et in lo terzo, li cento cinquanta, si vederia chiaramente che tutta la Religione nel prefatto luco non si potria sustentare.

« Item che il portaro del detto Castello sia religioso dando ricom-pensa a Joanico Alfers al presente portaro in qualche altra parte, il quale per esser gia vecchio, et non veder quasi piu, non puo suppor-tare il travaglio necessario al detto officio.

« Item che mandandosi nel. detto loco de Tripoli Cavallieri de ar-mamento, li loro servitori non habbiano da tirare soldo alcuno, ne manco li servitori de alcuni altri cavallieri che vano col governatore et thesoriero reservando solum quatro servitori il soldo, per doi del Govematore, Faltro del capitanio delli cavalli, et l'altro del thesoriero, con questo che siano sufficient!.

« Item. che quelli che hanno officii in la doana tanto per essi come per altri non habbiano soldo nessuno dal castello poi che l'hanno dalla detta duana.

« Item che, andando alciini ad habitare in detto castello per fare suoi negocii particulari, o per riscatare alcuni lor parenti, over in detto luoco mandati dalla giusticia, non debbiano aver soldo nessuno, at-tento che con il soldo o senza hanno da stare in detto loco.

« Item per quanto in detto castello vi sono quatro capellani che tirano soldo de soldato, comandamo che li tre di essi siano del'habito, cioe li doi de caravana, et uno sia vicario, sensa soldo che habbia con-tinuamenti residere la, li

quali pigliarano li trentanarii delli frati che ibi morirano, et l'alfcro potra esser seeulare.

« Item che nessuno in detto castello, tanto dentro come di fuora, non possi vendere formento o biscotto, eccepto la signoria, et venendo alcun corsaro, over mercante, che ne portasse per venderne il gover-natore et il thesorero lo comprino a nome del thesoro, a precio hones-to con questo che la signoria habbi poi alcun utile.

« Item che venendo alcun corsaro con alcuna presa et portando alcune robbe, nelle quali la signoria potesse haver alcun guadagno comprandole, il detto governatore et thesoriero Ie comprino a conto del thesoro, et havendo alcun altra persona fatto partito con alcuno de detti corsarii per avanti la Religione sia preferita precio per precio.

« Item si havisa che si la signoria tenesse il forno de detto castello, mettendo un buon fornaro, et schiavi necessarii, con doi molini da mulla o da cavallo over da camello per far farina, et si ordinasse che nessuno facesse pane eccepto per uso di sua casa, solum la signoria, che forniria chi ne avesse di bisogno si awansaria per anno tre-cento saime di formento piu presto de piu che di manco, et seria causa che molta gente inutile che sta in detto castello che non serve ec-ceto di fare pane et venderlo se ne partiria et cosi restara il loco piu alleggerito de persone inutili.

« Item che Ie dispuglie delli frati che ibi morirano siano distri-butte fra li frati della lingua dovi sarano li morti, li quali frati noc possano pretendere alcuna despoglia de quelli che morirano in Malta.

« Item attento che in la citta di Tripoli vi habitano moiti mori con loro moglie et figlioli, li quali comprano quasi tutto quello che gli e necessario per il loro vivere dal castello, se potra ordinare fuor del detto castello uno magazeno, o ver taverna, nel quali si vendi pane vino oglio formaggio legume, mele, et moltre (sic) altre cose minute che *si* vendono in detto loco, tutto al conto del thesoro, et che nessuno fuora di esse castello possi vendere alcuna vittoaglia; eccetto in ditto loco deputato, che saria oltra il guadagno siguiria alia Religione, evi-tare che tanti mori non entrino nel prefatto castello.

« Item che la thesoreria sia tenuta provista de tutte Ie cose che si pono vendere in esso castello grosse e menute, et che il govematore, capitanio et thesoriero ne altra persona non possi vendere robba alcuna sopra soldo a soldati eccepto Ie robbe del thesoro et se alcuno contra fara non gli sia fatto buono, immo il thesoriero, l'habbia a satis-fare de altra tanta robba del thesoro cargando al tale soldato ie precio sopra suo soldo, se pure havra de havere.

« Item accadendo che alcun soldato tenente o altro officiale ha-vesse de andare in casa sua o in altra parte con

licencia del governa-tore per alcun tempo che al tale non li corra il soldo ne ratione del tempo che stara fuora.

« Item che non siano alia ratione de cavalli piu de vinti mori et alia ratione de pedoni, non vi siano piu di quaranta mori.

« Item che non s tenga al soldo et ratione piu de vinticinque negri franchi et cada passaggio si faccia la visita, et quelli che sarano de piu delli vinticinque il govematore li faceia imbarcare ritenendo li mi-gliori per servicio della fabrica.

« Item che de tutte Ie prese et guadagni che farano Ie barche, fragati, bergantini o altri vasselli de Tripoli si habbia a pagar l'armi-ragliato al thesoro, et il simile tutti li altri corsari forastieri che fa-cesseno bottino in Tripoli, eccetto quelli che havessero armato in Malta sotto la bandiera della Religione con licentia de Monsignor reve-rendissimo tal armiragliato sia reservato ala signoria reverendissima».

(Archivio di Malta. Capitula Generalia, vol. 287 (1543 - 1548), fol. 65 v. e seg.).

XII

« Instructione a voi venerando religioso fra Claudio de la Sengia hospitalier di nostra Religione et capitaneo de nostri galere di quello havete da fare in questo viaggio che Dio vi conduca e torni a salva-mento.

« Et primo.

« Havendoci scrito la maesta Cattolica esser sua deliberatione ch'el illustrissimo principe Doria capitan generale di sua magiesta per mare con Ie galere di Spagna et de Italia andasse per due bande per buscar Dargut rayz et che nostre galere si giontasero con quelle, noi vedendo la cosa esser in servicio de Dio et di sua magiesta et de tutta la christianita con bona volonta havemo deliberate di mandarii non volendo mancar a simile impressa come e debito et costume nostro.

« Partirete adunque nel nome de Dio et andarete alia volta de Messina et gionto che sarete pigliarete Faltre due galere che sono li, li qualli credemo che alia gionta vostra sarano acconciate.

« Item, sapendo voi la volunta nostra, vi ordmamo che debbiate andare con detto illustrissimo principe con detta armata et far quello che per sua excellencia sara ordinato fin al suo ritorno in Messina o in altro luoco et ch'habbiate havuto licentia **da** lui.

« Item come sapete il negocio di Taiora e di tanta importanza che si non vi si remedia col tempo sara imposibile cacciar quel rinegato Morataga de li per tarsi ogni giorno piu potente, per tanto non lascia-rete di praticar il negocio con la excellencia del detto Signor vicere comme anchora col illustrissimo principe con farle conoscere la

utilita che di questo ne seguira et ancho il danno che se aspetano si non si provede per tempo come voi del tutto sette benissimo informato.

« Item benche non sappiamo del certo se l'armata ha da venire in Palermo o pur a Messina non di men oper che e necessario che Ie dette galere pigliano panatica andarete alia volta di Palermo dove vi fomirete de panatica et altre vituaglie necessarie.

« Item gionto in Palermo vi pofcrete informare dove 1'armata se aspetera, o in Palermo, o in Messina et secondo intenderete, potrete andare aspectare et se non havesse da venire in detti lochi la potrete andar a cercare dove si trovara se detto Signor principe havesse las-ciato tal ordine, et non havendo lasciato farete quello che meglio vi ne parera circa di andarlo a trovar, o aspectar.

« Item gionto, con delta armata andarete a visitar 1'illustrissimo principe capitaneo general di sua magiesta et farete nostre recomen-datione a sua excelentia dicendole con quanta volunta vi habbiamo expedito, per andar in questo viaggio, per servicio di sua magiesta Cattolica offrendovi promtissimo in tutto quello che sua excellencia vi comandara.

« Item per che nostra volunta e che dette galere nostre vadino bene armate non lasciarete de pigliar per ogni galera

dieci soldati che siano ben disposti et persone che possano ben servire.

« Item fornite Ie dette cose vi potrete tornare qui in Malta con ogni diligenza rimettendo tutto quello che de piu succedera in vostra prudenza e discrecione che provedete et vi governate in tutte Ie occor-renze secondo il tempo et loco pigliando sempre consiglio dalli patro-ni et cavaglieri anciani et de altri officiali a voi benvisti, per che in voi confidamo... Datum Melite etc., die XXII mensis martij MDXLIX ab Incarnatione (1550)».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 422, fol. 208 v. e segO. XIII

.« Instructione a voi venerando religioso etc., fra Caspar de Val-lies commendatore de Prillar (?) et de Salins del priorato de Alvernia et manescallo di nostra eligione, di quanto havrete a far circa il go-verno del castello et cita de Tripoli che Dio vi conduca et incammini in tutte Ie occorrenze et actioni vostre.

« Et primo.

« Essendo voi per la sufficientia et capacita vostra stato eletto et deputato governatore di Tripoli mandiamo nostre galere per con-durvi al detto loco ove gionto che sarete darete Ie lettere et provisioni nostre al venerando religioso nostro fra Pietro Nunez de Herrera ba-glio de la Boneda al quale comandiamo che vi faccia dar a nome nostro et di

nostra Religione obedienza sacramento et homagio di tutti gli officiali et gente soldati et mori del detto castello con tutte le so-lennita et ceremonie acostumate rimettendovi il governo e consignan-dovi le chiave della fortaleza.

« Item intrato che sarette nella possessione del governo farete far al solito la mostra et resigna generale di tutta la gente che sta al soldo rlcognoscendo le arme et piglando lo giuramento di ben et fidel-mente servire advertendo che le arme che portano nella mostra siano sue et se alcuno non ne havesse li constringerete a comprarle.

« Item per che circa il governo del castello sono molte ordinationi antiche et moderne et boni costumi quelle ben vederete et considera-rete et conforme ad esse vi regerete, et se alcuna cosa de importanza vi parera inovare darete prima aviso a noi et a nostro venerando con-siglio a cio che in quelle vi sia dato ordine.

« Item per che supra tutte le cose si ha da guardar il servitio di-vino, procurarete che nel detto luoco si guardino li giorni delle dome-niche et feste comandate per la santa matre Chesia cosi nel contratar delle mercantie come nelle opere servili, ponendo la pena a voi bene-vista contra quelli che farano il contrario.

« Item vi ordinamo che con tutto il rigor facciate punir et casti-gar li dissoluti et vitiosi et bestemiatori et non permetterete che gio-chino alii dati se non alle tavole, o alle

carte al luoco deputato, et non in parte secrete, prohibendo che in modo alcuno non si giochino l'arme et cavagli et se alcuno temerariamente Ie giocasse li farete castigar ad arbitrio vostro et tali arme et cavagli seranno restituire a quello che rhavera perse.

« Item, essendo la buona guardia del castello cita et castellego piu importante che il resto, sarete molto vigilante sopra la guardia che si fa di note nella muraglia et di giorno nella porta, non perdo-nando a nessuna che manchase, advertendo che Ie due porte del castello cioe quella della terra et quella della marina non siano insieme aperte.

« Item vi ordinamo che siate attento che li mori entrino nel cas- tello il mancho che si potra, et per che siamo informati che gli mori habitant! nella cita sono costreti de intrar al detto castello per com-prar cose necessarie al loro vivere cotidiano, ordinarete che de tal cose se ne venda fuora del castello accio che li mori non habbiano causa di intrar dentro advertendo che in questo la doana non sia in alcun modo defraudata et che il castello non resta per questo dispro-visto.

« Item ordinarete che alii mori che vengono al coco non gli sia fatto maltratamento venendo ne tornando, non consentedo che gli sia tolto per forza cosa alcuna commandando che nessuno soldato vada fuora del castello al coco o ad altra parte senza archibuso o lanza o balestra et quello che sara ginete non habbia andar piu lontano del

fosso senza il suo cayaglio inselato et infrenato con sue arme accio che non habbia occasione de intrar dentro per eavalcar se per caso si toccasse in quello instante air anna.

« Item vi ordinamo et incarghiamo che procurate di levar l'oca-sione de tante scaramuccie nelle quali non si guadagna altro che per-dita de gineti buoni soldati et munitioni.

« Item accadendo che moresse alcun soldato senza herede ordinarete che li suoi beni per inventario siano posti in poter del nostro thesoriero fin che sia provisto de giustitia a cui pertineranno.

« Item de tutte Ie altre cose ardue et de importanza che potranno succedere ci darete aviso a noi et a nostro venerando consiglio.

... Datum Melite etc., die XXVIII mensis aprilis MDLI (1551)». (Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 422, fol. 220 (v.).

XIV

« Instructione per il Venerando religioso fra Caspar de Vallies manescallo di nostra Religione et governator di Tripoli como si ha da govemar sopra gli infrascripti negocii.

« Et primo.

« Havendo havuto notitia per diverse sie specialmente dal religio-sc nostro fra Georgio di Santo Joanne il quale e arrivato qui hoggi, come l'armata turchesca e uscita fnori et che si tiene per certissimo quella esser per Malta, o per il castello di Tripoli; per questo volendo provedere di presidio et aiuto per la fortificatione di detto castello, habbiamo ordinato che il. religioso nostro fra Guilleimo Coupier, commendatore de Tortobesa con alcun numer di cavaglieri et il magnifico Giovan Calabresi con sua compagnia de soldati venghino costi in Tripoli per tal effecto, con li quali volemo che siano observate Ie cose infrascripte.

« II. Item che il detto fra Guileimo Coupier in presentia vostra si chiame vostro locotenente cioe locotenente di governatore ma in ab-seneia vostra cioe se piacesse a Dio ordinare altro di vostra persona che allora resti in loco di governator et se il medessimo havenesse della persona di esso Coupler resti il religioso nostro fra Bartolomeo Vasco, et cosi per ordine se intende degli altri anciani.

« III. Item volemo che il detto fra Guilleimo Coupler et gli altri cavaglieri siano alia obedienzza vostra alii quali farete sue tavole a conto di nostra Religione.

« III. Item si dette cavagliere haverano bisogno di qualche panno o tela per vestire li farete accomodar dal thesoriero, sopra loro soldo a quello vi parera necessario.

« V. Item quanto al detto magnifico capitaneo et soldati vogliamo che siano alia obedienza vostra et havendo alcuna discordia fra loro in cosa de giusticia habbiano ricorso a voi.

« VI. Item. A petitione di detto capitaneo et soldati gli havemo concesso gli infrascripti capituli. et primo :

« VII. che detta compagnia de soldati sia in piede con li proprii medesimi officiali che in essa compagnia si trovino et ch'el detto magnifico Giovan capitaneo habbia ogni vigore et auctorita et potesta che ad un capitaneo de fanteria si richiede, et che detta sua auctori-tate non gli sia punto diminuita.

« VIII. Item che la paga che si fara alii detti soldati sia cosi et tanta come e quella di sua magesta Cattolica cioe paga di guerra, et non paga di guarnitione et secundo Fuso di guerra cioe in ciascun **XXIX** giorni mentre serano in detta fortalezza de Tripoli, incomin-ciando dal giorno che sara finita 1'altra paga che glie donata in Sicilia.

« Vni. Item che a proprie speee della Religione debbiano far condure detti soldati alia detta fortaleza de Tripoli et di poi tomarii in la cita di Messina senza scontar cosa alcuna tanto del mangiar et del bevere quanto del passaggio.

« X. Item che passato il mese de Setembre proximo future non havendo Parmata turchesca assediato detto castello debbiano far ritor-nar detti soldati fin a Messina a

spese di nostra Religione senza rite-ner alcuno per guarnicione di detto castello sino quelli che di loro spontanea volonta volessero restar.

« VI. Itme che detti soldati sian provisti delle cose necessarie per il viver loro come di pane vino et altre cose comestibile per il medemo precio che si dona agli altri soldati in Tripoli.

« XII. Item che guadagnando detti soldati schiavi o schiave et altre cose de infideli siano di essi soldati et non de altri, et che huomo alcuno di nostra Religione non se li possi levare.

« XIII. Item, accadendo che alcuni de detti soldati fossero feriti in servicio di detto castello volemo che siano curati et medicati et datoli Ie medicine a spese di nostra Religione senza scontar cosa alcuna sopra il soldo loro.

« XIII. Item che siano provisti per il tempo che starano nel detto castello di polvere piombo et micci a spesa di nostra Religione di quello che parera necessario.

« XV. Item per quanto mandiamo due galere aposta per levar detti soldati esse galere sbarcati che sarano detti soldati subito si retornarano portando seco quella quantita de done et garzoni che vi parerano.

In cuius etc... Datum Melite etc. die sexta mensis Julij MDLI ».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 422, fol. 223 v.).

الهوامش

(١) راسم رشدى: طرابلس الغرب (طرابلس ١٩٥٣) ص ١٤.
(٢) عمر البارونى: الأسبان وفرسان القديس يوحنا فى طرابلس (طرابلس ١٩٦٠) ص ٩.
(٣) أنظر الوثيقة رقم (١) التى توضح التحرش الأوربى بالمسلمين – ملحق البحث.
(٤) E.Rossi, I, Daminio du Cavailieri di Malta A Tripoli in (Archidum Melitense) VI Malta 1924, p. 16. Ibid. . 180
(٥) Ibid. p. 180
(٦) مصطفى بعيو: المجمل فى تاريخ ليبيا (القاهرة ١٩٤٧)، ص ٢٢.
(٧) محمد فريد سيالة: نحو غد مشرق (طرابلس ١٩٥٨).
(٨) أنظر الوثيقة رقم (٢) التى تدلل على شدة وطأة القوى الأوربية تجاه الحواضر الإسلامية الساحلية
(٩) Rossi, I: Op. Cit; P.P.22 - 23.
(١٠) C. Manfroni, L' Italia melle viende marinare della tripolitaria Intra Airoldi Maita (1935) P. 21 - 22.
(١١) Rossi, I: Op. Cit: P. 28.
(١٢) C. Manfroni: Op. Cit. p.25.
(١٣) عمر البارونى: المرجع السابق، ص١٤.
(١٤) S. Aurigenna, I Castello di Tripoli die Darberia In Rinascita Della Tripolitaria (Roma, 1926). P.P. 17 -18
(١٥) مصطفى بعيو: المرجع السابق، ص ٢٧.
(١٦) محمد فؤاد شكرى: ميلاد دولة ليبيا الحديثة (القاهرة ١٩٥٧)، ص٨.
(١٧) انظر ا لوثيقة رقم (٣) التى توضح نظام العمل داخل طرابلس – ملحق البحث.
(١٨) على مصطفى المصراتى: صحافة ليبيا فى نصف قرن «بيروت١٩٦٠» ص ٢٥..
(١٩) محمد فؤاد شكرى: المرجع السابق ذكره ص ٤١.
(٢٠) G.Pantanelli, Tripoli in un Documento Bolognese del secolo X Bologna 1942,p.21.
(٢١) Ibid:p.24.
(٢٢) انظر الوثيقة رقم (٤) التى تدلل على صراحة العمل بين الفرسان من أجل أحكام قبضتهم على طرابلس – ملحق البحث.
(٢٣) أحمد النائب الأنصارى: المنهل العذب فى طرابلس الغرب «بيروت ١٩٥٠، ص ١٩.
(٢٤) محمد فؤاد شكرى: المرجع السابق، ص١٣.
(٢٥) أحمد النائب الأنصارى:المرجع السابق ص ٢١.
(٢٦) انظر الوثيقة رقم ٥ التى تبرهن على ضرورة رصد تحركات القوى الإسلامية على الساحل «ملحق البحث».
(٢٧) G. Pontanelli: Op. Cit.p29
(٢٨) C. Manfroni,; Op.Cit. p32.
(٢٩) انظر الوثيقة رقم ٦ التى تشير إلى أحوال الفرسان داخل طرابلس – ملحق البحث
(٣٠) انظر الوثيقة رقم ٧ التى تعكس للفرسان مدى الخطر المتنامى على طرابلس من القوى الإسلامية – ملحق البحث.
(٣١) على مصطفى المصراتى: المرجع السابق ، ص ٣٣– ٣٤.
(٣٢) عمر البارونى: المرجع السابق، ص ٦٩.

(٣٣) انظر الوثيقة رقم «٨,٩» التى تبرهن على ضرورة شحذ همم الفرسان للدفاع عن طرابلس – ملحق البحث.

(٣٤) S.Aurigenna,: OP. Cit, .p 40 - 41

(٣٥) E. Rossi: Op. Cit p. 72.

(٣٦) عمر البارونى: المرجع السابق، ص ٨٩

(٣٧) مصطفى بعيو: المرجع السابق، ص ٣٠١.

(٣٨) S.Aurigenna: Op. Cit.p.91.

(٣٩) راسم رشدى: المرجع السابق، ص ٩٨.

(٤٠) انظر الوثيقة رقم ١٠، ١٢ التى تدلل على تهاوى قوة الفرسان أمام تأسد قوة العثمانيين – ملحق البحث.

(٤١) E. Rossi: Op.Cit, p. 92.

(٤٢) Ibid.p.94.

(٤٣) محمد فريد سيالة: المرجع السابق، ص١٩.

(٤٤) محمد فريد سيالة، المرجع السابق، ص٢١.

(٤٥) انظر الوثيقة رقم ١٢ التى تشير إلى استصراخ الفرسان لأوروبا من أجل إرسال حملات الإنقاذ إليهم، ملحق البحث.

(٤٦) على مصطفى المصراتى المرجع السابق، ص ٩٧.

(٤٧) انظر الوثيقة رقم ١٣، ١٤ التى توضح تهاوى قوة الفرسان أمام آل عثمان، ملحق البحث.

(٤٨) G. Pontanelli:Op. Cit, p.53

(٤٩) عمر البارونى: المرجع السابق، ص ٨٤.

(٥٠) عمر البارونى، المرجع السابق، ص ٨٧.

(٥١) E.Rossi: Op. Cit, . p. 102.

(٥٢) محمد فريد سيالة، المرجع السابق، ص ٩٧.

(٥٣) C. Monfroni, Op Cit, p. 49.

(٥٤) Ibid, p 51.

(٥٥) على مصطفى المصراتى: المرجع السابق ص ٧٨

(٥٦) أحمد النائب الأنصارى: المرجع السابق، ص ٩٧.

(٥٧) G.Pontanelli, Op. Cit. .p. 88-89.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأسبانية:

- C-Monfroni,L'Italia melle viende marinare delIa
Tripolitaria Intra Airoldi, Malta (1935).
- E-Rossi, I, Doninio die Cavailieri di Malta a Tripoli in (Archidun Melitense) VI Malta, 924.
- G-Pantanelli, Tripoli in un Documento bolognese del
secolo X (Bologna, 1942).
- S.Aurigenna I Castello di Tripoli die Barberia in
Rinascita delIa Tripolitania (Roma, 1926).

ثانياً: المراجع العربية:

- أحمد النائب الأنصارى: المنهل العذب فى طرابلس الغرب (بيروت ١٩٥٠).
- راسم رشدى: طرابلس الغرب (طرابلس ١٩٥٣).
- عمر البارونى: الأسبان وفرسان القديس يوحنا فى طرابلس (طرابلس ١٩٦٠).
- على مصطفى المصراتى: صحافة ليبيا فى نصف قرن (بيروت ١٩٦٠).
- محمد فريد سيالة: نحو غد مشرق (طرابلس ١٩٥٨).
- محمد فؤاد شكرى: ميلاد دولة ليبيا الحديثة (القاهرة ١٩٥٧).
- مصطفى بعيو: المجمل فى تاريخ ليبيا (القاهرة ١٩٤٧).